بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمســـــــــان

كلية الآداب واللغات

قسم اللـــغة والأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

2013

FACULT 01082

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة بـــ:

الجامع الكبير بتلمسان ودوره في الحضارة العربية الإسلامية

إعـداد الطالبتيـن:

❖ سعاد بن منصور

❖ حورية منصوري

إشـراف الأستـاذة:

حـرة طيبـــي

السنة الدراسية: 2012/2011

MAS_953 B/01

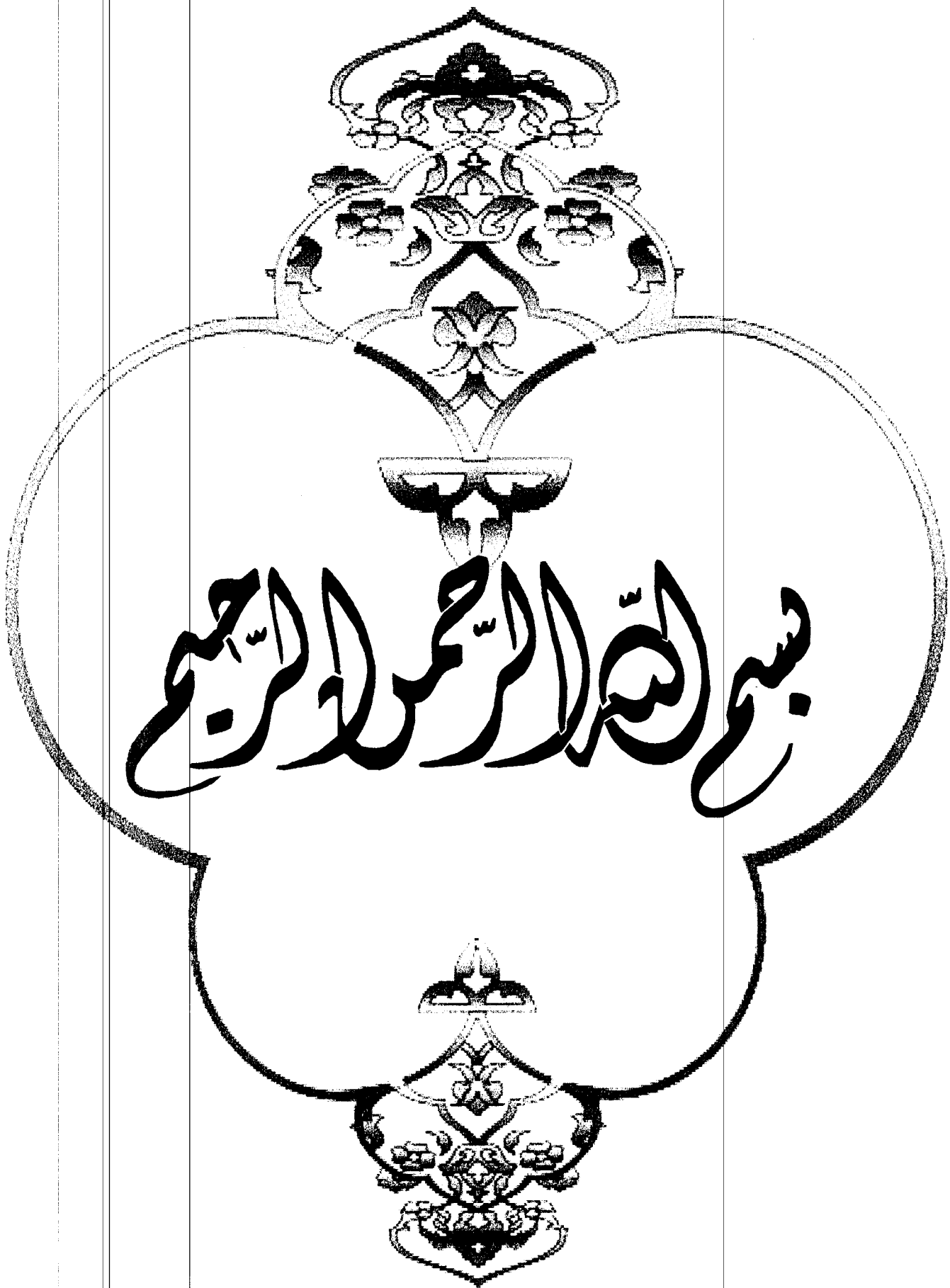

إهـــــداء

❖ أهـدي ثمرة جهدي إلى أحق النـاس به:

أمـي يا أملي في الحياة.

❖ وإلـى من شجعني وتحمـل مشقـة الدنيـا ومتاعبهـا من أجلنـا،

أبـي وسبب وجودي في الحياة .

❖ إهداء خـاص إلـى رفيـق دربـي وشـريـك حيـاتـي.

❖ وإلى كل الأهل والأحـباب الذين شجعونـي وكـان كل أملهم إكمال مشواري الدراسـي والنجـاح.

❖ إلى زمـيـلـتـي: سعاد بن منصور

إهـــداء:

حـوريـــة منصوري

إهـــــداء

أهـــــدي ثمرة جـــهدي المتواضع هذا إلى نبينا الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

- إلى التي غمرتني بحنانها وإيثارها ودعواتها الخالصة:

أمـــي الـــغـــالـــيـــة.

- إلى الذي ألهمني قداسة العلم وحب العمل:

والـــدي الـــعـــزيـــز.

- إلى أختي العزيزة أمـــال.
- إلى إخوتـــي: لـــخـــضـــر ، مـــحـــمـــد وســـمـــيـــر.
- دون أن أنسى خالتي عمارية وابنتها غنية.
- إلى زميلتي: حورية منصوري

إهـــداء:

سعـــاد بن منصور

تشكـــرات

الحمد لله الذي علمنا من العلوم ما به كلفنا والشكر له سبحانه وتعالى على ما مكننا من تحقيقه وأرجو أن يتقبله منا خالصًا لوجهه الكريم.

نتقدم بأصدق وأعمق معاني الامتنان لأستاذتنا المشرفة السيدة المحترمة: ** حـــرة طـيـبـــي **

والشكر الجزيل إلى الأستاذ المناقش.

كما نتقدم بالشكر الخاص إلى السيد: «مصطفى باحيا» مفتش في التوجيه الديني وتعليم القرآن.

وشكر كبير لصاحبي الأنامل الذهبية اللذان ساهما في كتابة هذه المذكرة: السيد ع. بن منصور والسيد عبد المجيد. د

في الأخير نسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في القول والعمل وأن يهيأ لنا من أمرنا رشدا إنه سميع الدعاء.

سـعـــاد & حـوريـــة

المقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي أرسل رسوله مُحمّدًا **(صلى الله عليه وسلم)** بالحقّ، بشيرًا ونذيرًا، مُنزّلا عليه القرآن الكريم كتابًا عظيمًا لا ريب فيه، فتح الله به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا، كِتابًا أسكتَ الفصحاء بفصاحته، وأخرس البُلغاء ببلاغته.

أمّـــــا بـــعـــــد:

احتفلت الجزائر خاصة، واحتفل معها العالم الإسلامي على وجه العموم، بمدينة تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية لسنة 1432هـ /2011م، نظرا لما قدمته عبر قرون خلت.

فقد كانت مدينة تلمسان مشتلة للعلم والمعارف وخزَاناً للعلماء والفقهاء، ومنبراً للدعوة الإسلامية، وعاصمة للزهد والتصوف والفقه المالكي ومزاراً كبيراً لطلاب العلم، وكانت المساجد منبعاً للعلم والفقه، ومنبراً للأخلاق والفضيلة، وعاملا من عوامل تثقيف المجتمع وتربيته وتهذيبه وإصلاحه.

وقام المسجد بهذا الدّور منذ أيامه الأولى، وحث رسول الله عليه لقوله صلى الله عليه وسلم "من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان كأجر حاج تامًا حجه" أخرجه الطبراني.

ومواكبة مع تظاهرة تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية، إرتأينا أن يكون موضوع مذكرتنا عن أحد أهم معالمها الدينية الإسلامية وهو الجامع الكبير وقيمته الحضارية.

فمن أين استمد الجامع الكبير هذه المكانة وأين تكمن قيمته الحضارية؟

أما المنهج الذي اعتمدناه في معالجة بحثنا هذا فهو المنهج الوصفي التحليلي التاريخي.

ومـن الصـعوبات التـي واجهتنـا، وجـود مخطوطـات تهـتم بهـذا الموضـوع غيـر مطبوعـة، صعب علينا الحصول عليها.

وفيمـا يخـص خطـة البحـث وترتيـب عناصـره، قسَـمنا بحثنـا هـذا إلـى مقدمـة ومـدخل تمهيـدي وثلاثـة فصـول ، تناولنـا فـي الفصـل الأول لمحـة عـن الجـامع الكبيـر، تعرضـنا فيـه إلـى مبحثـين- نشـأة الجـامع الكبيـر ومراحـل تطـوره - عناصـره المعماريـة. وتحـدثنا فـي الفصـل الثـاني عـن أهميـة الجـامع الحضـارية، وتطرقنـا فيـه إلـى ثلاثـة مباحـث: قيمتـه العلميـة فـي الفتـرة الزيانية – قيمته في الفترة الحديثة والمعاصرة – بعض علماء وفقهاء الجامع الكبير.

أمـا الفصـل الثالـث والأخيـر فقـد خصصـناه بالحـديث عـن نمـاذج مـن أعـلام الجـامع، وأدرجنـا تحتـه مبحثـين - عائلـة المرازقـة - الشـيخ الهبـري المجـاوي، ثـم ختمنـا هـذا البحـث بخاتمة بيّنا فيها النتائج النهائية التي توصلنا إليها.

وقـد اعتمـدنا علـى جملـة مـن المصـادر والمراجـع أهمهـا: البسـتان فـي ذكـر الأوليـاء والعلمـاء بتلمسان- تاريخ الجزائر الثقافي- باقة السوسان.

تلمسان يوم 2012/05/26م.

- **سعاد بن منصور.**
- **حورية منصوري.**

المدخل

ماهية المسجد

المدخل: ماهية المسجد

شهدت تلمسان منذ القدم تطورا عمرانيا كبيرا، أخذت العمارة الدينية فيها أهمية بالغة، من أجل الأعمال الحضارية التي أقبل أمراؤها وحكامها وسكانها على إقامتها وتشييد صروحها.

وقد شيدت تلمسان عددا كبيرا من المنشآت الدينية كالمساجد والجوامع والأضرحة والمدارس والزوايا والرباطات والكتاتيب، هذه المنشآت التي لقيت عناية فائقة بشتى أنواع الفن والصناعة، لأن المسجد يمثل حجر الزاوية في العمارة الإسلامية، نظرا لأهميته العظيمة[1].

قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[2].

يشتق لفظ مسجد من الفعل سجد يسجد سجودا وهو كل موضع يتعبد فيه، ومسجد بكسر الجيم محراب البيوت ومصلى للجماعات وجمعها المساجد، ويقال: سجد سجدة وما أحسن سجدته أي هيئة سجوده[3].

والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود والمسجد بكسر الميم الخمرة وهي الحصير الصغير، ويقال أيضا المسجد جامع فيكون لفظ جامع نعتا يشير إلى

---

[1]- عبد العزيز لعرج، تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية، مجلة الوعي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد المزدوج (3-4)، (جمادى الأولى والثانية 1432/ أفريل /ماي 2012)، ص31.

[2]- سورة النور، الآية 36.

[3]- محمد بن منظور، لسان العرب، ج2، دار الحديث، القاهرة، 2003م، ص98.

مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة ويستعمل مسجد بمفرده عادة فيشير إلى مسجد صغير. أما عن سبب اختيار كلمة مسجد مكان للصلاة فذلك لأن السجود اشرف أفعال الصلاة تقرب العبد من ربه واشتق اسم المكان فقيل مسجد ولم يُنْعَت مَرْكَعْ[1].

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[2].

وعلى هذا فقد استقر العرف على إطلاق كلمة "المسجد " على كل مكان لتعبد المسلمين مهما كانت أرضه، وإطلاق لفظ "الجامع" أو" المسجد الجامع" على المساجد الكبيرة التي تستوعب المصلين أيام الجمع والأعياد، وعلى هذا فإن كل جامع هو مسجد ولكن ليس كل مسجد جامعا[3].

ويعتبر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الأول للعمارة الإسلامية والذي أنشأه أثناء هجرته إلى المدينة في السنة ألأولى للهجرة فهو أول مسجد بني في الإسلام و سمي بمسجد التقوى، بني في مربد التمر الذي بركت فيه ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب بسيط يعتمد على خبرة بعض الصحابة ممن لهم دراية بالبناء[4].

---

[1]- سعاد ماهر مساجد السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1987، ص98.
[2]- سورة الأعراف، الآية 29.
[3]- المرجع السابق، ص13.
[4]- أحمد رجب و محمد علي، المسجد النبوي بالمدينة المنورة و رسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية، القاهرة، 2000، ص5.

وقـد أمـر الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم ببنـاء المسـاجد فـي كـل الأمـاكن التـي إنتشـر فيهـا الإسـلام، فكثـر إنشـاؤها فـي أنحـاء العـالم الإسـلامي واعتنـي بفخامتهـا نظـرا لتطور أغراض المساجد التي طرأت كقاعات المحاضرات والمكتبات[1].

وعلـى الـرغم مـن إن العمـائر الإسـلامية ذات طـابع خـاص، لكنهـا لا تعنـي فـي معانيهـا التماثـل التـام، ذلـك أن العمـائر لـم تكـن تشـيد وفـق نمـاذج معينـة مهمـا بلغـت مـن الجهـد والإحكـام، فالعمـائر تختلـف فـي مـواد البنـاء و أنـواع ألأعمـدة و التيجـان وفـي العقـود، وفـي المـآذن والقبـاب، وفـي أنـواع الزخـارف المسـتعملة لتـزيين الجـدران كالجص والقاشاني،وغيرها من المواد والعناصر[2].

فتطـور شـكل الجوامـع مـن المربـع المكشـوف إلـى المسـتطيل البسـيط،إلى أن ألحـق بهـا صـحن مكشـوف تحـيط بـه الأروقـة المعقـودة، إلـى أن ظهـرت الإيوانـات، وقـد كانـت فـي الغالـب أربـع،ترمز إلـى المـذاهب الأربعـة فـي الإسـلام،ثم جـاءت الجوامـع التـي غطيت صالاتها الرئيسية بالقباب[3].

وإذا كانـت هنـاك مؤسسـة تجسـدت فيهـا الحضـارة الإسـلامية بأسـمى معانيهـا فـلا شـك أنهـا المسـجد، فكـان كـل مـن زار إحـدى المـدن الإسـلامية القديمـة، يشـاهد تلـك العمائر الدينية فالمسجد هو الحياة والحياة هي المسجد[4].

---

[1]- أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب و المسلمين، دار الفكر، 1977، ص55.
[2]- زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص10.
[3]- رئيف مهنا و يسين بحر، نظريات العمارة، ج01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص110.
[4]- محمد بيومي، القيمة المعمارية والفن التشكيلي، دار الرتب الجامعية، 2002، ص59.

وتلمسان هي جوهرة من هذه المدن، تمتاز بالعدد الكبير من المساجد الرائعة الجمال التي بنيت في عهد الأدارسة والمرابطين والزيانين والمرينيين، كمسجد سيدي أبي مدين، مسجد سيدي الحلوي، والجامع الكبير[1].

هذا الأخير الذي سنتناوله بالدراسة في هذا البحث، مركزين على قيمته العلمية والدور المهم الذي لعبه في الحضارة الإسلامية.

[1]- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج1، مكتبة النهضة، القاهرة، ص381.

الفصل الأول

لمحة عن الجامع الكبير

الفصل الأول: لمحة عن الجامع الكبير

المبحث الأول: نشأة الجامع الكبير ومراحل تطوره:

1) نشأته:

أثارت الحقائق التاريخية التي اكتنفت بعض العناصر المعمارية للجامع الكبير جدلا كبيرا بين الباحثين في تحديد ا لسنة أو الفترة التي أسس فيها على وجه الدقة منها:

- تواجد كتابة محفورة بقاعدة قبة المحراب تؤكد أن إتمام البناء كان في جمادى الثاني عام530هـ/1135 م.
- هناك نقش كتابي آخر منحوت على باب المقصورة يشير إلى هذا العمل بتاريخ533هـ/1138م.
- وجود نقش كتابي آخر محفور على لوحة خشبة موضوعة في حائط المحراب يشير إلى أن أبا حمو الثاني بنى مكتبة ملاصقة للجامع[1].

إلا أن معظم الباحثين يرجعون تاريخ بناءه إلى عهد يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية حوالي سنة485هـ/1091م. وفي سنة 530هـ/1136م أتم ابنه وخليفته علي بن يوسف بن تاشفين بناء الجامع

1- وزارة الأنباء والثقافة، تلمسان (سلسلة الفنون والثقافة)، مطبعة ألتا ميرا، مدريد، إسبانيا، سبتمبر 1975، ص35.

وأمـر بتسـجيل ذلـك فـي قبـة المحـراب[1] بـالنص التـالي: بسـم الله الرحمـان الـرحيم وصـلى الله علـى محمـد وعلـى آلـه وسـلم تسـليما، هـذا ممـا أمـر بعملـه الأميـر الأجـل"علـي بـن يوسـف بـن تاشـفين"أيـد الله أمـره وأعـز نصـره وأدام دولتـه، وكـان إتمامـه علـى يـد الفقيـه الأجـل القاضـي الأوصـل"أبـي الحسـن علـي بـن عبـد الرحمـان بـن علـي"أدام الله عـزهم ،فـتم فـي شـهر جمـادى الأخيرة عام ثلاثي وخمسمائة[2].

و هـذا مـا أكـده جـورج مارسـيه الـذي يعتبـر مـن الأوائـل الـذين اهتمـوا بدراسـة معالم تلمسان[3].

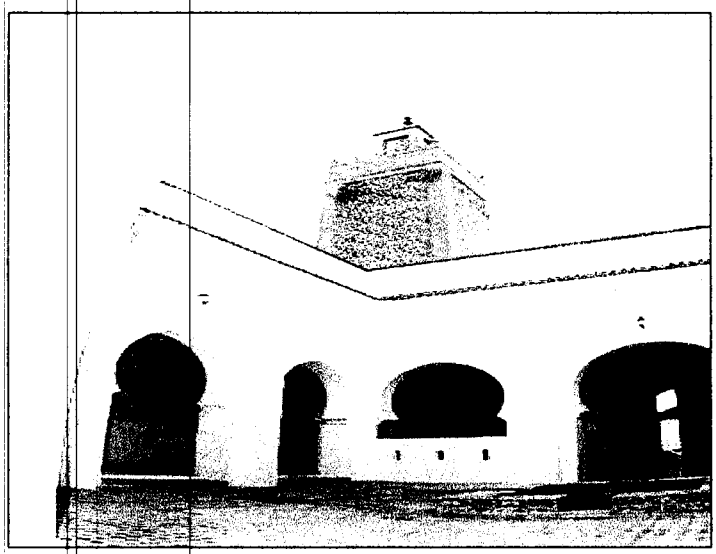

1- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر،د.إبراهيم شبوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص106.

2 - صالح بن قربة، العمارة الدينية في عصر المرابطين، مجلة سرتا، العدد04، ديسمبر1980، ص35.

3 - المرجع السابق، ص106.

2) مراحل تطور الجامع:

أ- في العهد المرابطي:

ظهـرت دولـة المـرابطين فـي القـرن الخـامس الهجـري /الحـادي عشـر المـيلادي، تنتمـي هـذه الدولـة إلـى قبيلـة لمتونـة إحـدى فصـائل القبيلـة البربريـة الكبـرى صـنهاجة، وفـي472هـ/1079م، بعـث الأميـر يوسـف بـن تاشـفين قائـده فـي عشـرين ألفـا مـن المـرابطين لغـزو تلمسـان و مـا وراءهـا مـن بـلاط المغـرب الأوسط .

وأثنـاء حصـاره لتلمسـان القديمـة أغـادير، بنـى يوسـف بـن تاشـفين مدينـة جديـدة تـاقرارت، تلمسـان الحديـــــــــثة ومعناهـا المحلـة فـي لغـة القـوم، فأصـبحت المركـز الرسـمي للحكومـة المرابطيـة حيـث نـزل بهـا القـواد والجنـــــود والأعيـان، كـل ذلـك سـاهم فـي تشـييد دار الإمـارة والمسـجد الجـامع بهـا كمـا هـو الشـأن عـن إحـداث المـدن الجديـــدة، فـابتنى وقتهـا يوسـف قصـر تلمسان القديم الذي كان موقعه غرب الجامع الكبير[1].

ظلـت تلمسـان خاضـعة لحكـم المـرابطين فتـرة طويلـة، ازدهـرت فيهـا العمـارة والفنـون الإسـلامية، ولا سـيما فـي عهـد الأميـر يوسـف بـن تاشـفين الـذي أولى اهتماما بإقامة المساجد[2].

1- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص65.
2- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، ، العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981، ص381.

ب- الجامع في العهد الموحدي:

بانهيار دولة المرابطين في القرن 6هـ/12م، قامت دولة الموحدين في المغرب الأقصى، تأسست هذه الدولة على كاهل رجل السياسة والعلم والدين، المغربي محمد بن عبد الله المعروف باسم المهدي بن تومرت، ثم آل أمرها بعد وفاته إلى عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي، الذي دخل تلمسان وفتحها 542هـ/1147م[1].

وقام بتجديد بناء دورها وحصنها، وتعديلات بسيطة للجامع لم تمس مخططه، فهي لا تزيد عن بعض الجوانب من بنيانه كواجهته التي أصبح لها بابين يكتنفان المحراب، الباب الأول يقع على يمين المحراب و يؤدي إلى غرفة خاصة بحفظ المنبر والباب الثاني يقع إلى يسار المحراب ويؤدي مباشرة إلى غرفة الإمام.

وقد دل العقد المفصص الذي يتوسط جدار بيت الصلاة المطل على الصحن على أن هذا الجدار قد أعيد تجديده في عهد الموحدين[2].

1- عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط6، دار الثقافة بيروت، 1983، ص03.
2- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص.107.

ج- الجامع في عهد بني عبد الواد:

لمّا ضعف أمر الدولة الموحدية بالمغرب الإسلامي فإن بني عبد الواد الذين كانوا يحكمون باسمهم تلمسان شقوا عصا الطاعة ونبذوا دعوة الموحدين فأعلنوا استقلالهم بالمغرب الأوسط متخذين من تلمسان عاصمة لمملكتهم التي استمر بقاؤها أكثر من ثلاثة قرون (13م-16م)[1].

ويعتبر السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان، مؤسس الدولة الزيانية أول من نبذ دعوة الموحدين معلنا عن الاستقلال، ومكث بتلمسان عاصمة الملك مع سنة 633هـ/ 1235م.

بقي أبوا يحيى يغمراسن بن زيان على عرش تلمسان ثمانية وأربعين سنة وبضعة أشهر وقد اهتم السلطان يغمراسن ومن جاء بعده بالجانب المعماري حيث نزل لنا عدة آثار من أبرزها الصرح العظيم المعروف باسم "المشور" وبناء مئذنة الجامع الكبير[2].

كما ساهم تزايد عدد السكان في مدينة تلمسان بسبب اختيارها حاضرة لدولة بني زيان إلى تزايد عدد المصلين، هذه الزيادة كانت سبب في زيادة بلاطتين إلى المجنبة الغربية من الصحن، كما يظهر أن الأمير يغمراسن لم يستطع توسعة لم يستطع توسعة بيت الصلاة من المسجد من جهة الغرب

1- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ص76.
2- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص172.

بسبب التصاق بنائه في هذه الجهة بالقصر القديم، فانتقص طول الصحن المستطيل على شكل مربع[1].

أما في خلافة **"أبي حمو موسى الثاني"** في الفترة ما بين760-791هـ/1359-1388م، شهد الجامع إضافة خزانة كتب أهداها إليه، استنادا إلى الكتابة المنقوشة على لوحة خشبية تقع على يمين المحراب، ورد فيها اسمه وتاريخ الانتهاء من الإنشاء 760هـ/1359م كما أضيفت مكتبة أخرى تقع في مؤخرة الجامع، ويعود تاريخها إلى عهد الأمير **"أبو زيان بن أبي** حمو الثاني"(797-802هـ/1394-1399م)[2].

كما أضيف إلى المسجد في هذا العهد ضريح الشيخ **"محمد بن مرزوق** " وهو أحد العباد الصالحين الذي يقع في الركن الجنوبي من بيت الصلاة، ثم تعرض الجامع من القرن 9هـ/15م لبعض الترميمات أو التجديدات[3]. و هذه المراحل التي مر بها الجامع توضح حرص سلاطين و ملوك تلمسان بهذا المعلم، واهتمامهم الكبير بكل أجزائه.

1- المرجع السابق، ص173.
2- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص42.
3- المرجع السابق، ص43.

المبحث الثاني: العناصر المعمارية للجامع الكبير

1- موقعه:

يعد الجامع الكبير بتلمسان ،الجامع الوحيد من بين المساجد الجامعة المرابطية في المغرب الأوسط الذي يحتفظ بعناصره المعمارية الأولى، كما يمثل نقطة انتقال من العمارة البسيطة إلى نوع من الابتكار والثراء الفني الزخرفي والمعماري، استوحاهما المرابطون من الفن الأندلسي[1].

يحتل الجامع موقعا هاما في المدينة، يكاد يتوسطها ويصبح مركزا لها، وهو بناء مستطيل الشكل، طوله ستون مترا وعرضه خمسون، تقدر مساحته الكلية بـ: ثلاثة آلاف وست مئة متر مربع، مبيض بالجير وتعلوه قبتان مغطى سطحهما بقرمود أخضر اللون ومئذنته عالية ذات أربعة أوجه يبلغ ارتفاعها خمسة وثلاثين مترا[2].

1- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص170.
2- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ص212.

2- عناصره **المعمارية:**

أ- الأبـواب:

لهذا الجامع ثمانية أبواب ثلاثة منها في القبلة :

- باب **ابـن مـرزوق:** وسـمي بهـذا الاسـم لقربـه مـن ضـريحه، وكـان فيمـا قبـل يدعى باب المدرسة التاشفينية لقربه من بابها.
- بـاب **الجنـائز:** وهـو خـاص بالأئمـة والمـؤذنين وهـو يـؤدي إلـى بيـت خلـف المحـراب وسـمي بهـذا الاسـم لأن الأمـوات يُـدْخَلون منـه للصـلاة علـيهم يـوم الجمعة خاصة بعد أداء الفريضة.
- بـاب **الأضـحية:** لأن الإمـام يـذبح أضـحيته يـوم العيـد بـالقرب منـه عمـلا بالقاعدة المعلومة "لا تذبحوا قبل أن يذبح الإمام"[1].

وثلاثة أبواب أخرى في الشرق:

- باب **الخرّازين:** لقربه من دكاكينهم، وهذا الباب هو أهم أبواب الجامع.
- باب **دار المساكين:** لأنه يقابل ملجأ الشيوخ والعجزة المساكين[2].
- بـاب **سـيدي أحمـد بـن الغمـاري:** لأنـه يقابـل ضـريحه، و كـان للجـامع فـي هذه الواجهة.
- بـاب **الغـزل:** سـمي بهـذا الاسـم لقربـه مـن تلـك السـوق وكـان يقـال لـه بـاب النسـاء أيضـا لأنهـن كـن يـدخلن إلـى الجـامع منـه يـوم الجمعـة أو العيـد لكـن

1- المرجع السابق، ص213.
2- المرجع نفسه، ص214.

هذا الباب حول إلى **باب المحكمة الشرعية** التي هي جزء من الجامع أنتقص منه في عهد الاحتلال الفرنسي.

وله باب واحد في الشمال هو:

- باب **ابن صعد**: إذ يقابل مقامه.

وللجامع في الغرب باب واحد أيضا هو:

- **باب دار الإمارة أو القصر القديم**: هذا الباب كان خاص بالسلطان وحاشيته في أيام الجمع والأعياد، إذ الجامع كان ملتصقا بذلك القصر الذي شُيِّد قبله[1].

1- محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان**، ص214.

ب- المحـــراب:

لغة هو الموضع العالي وصدر البيت وأشرف المجالس في لسان العرب لابن منظور:"المحاريب صدور المجالس ومنه محراب المسجد والمحراب القبلة"[1].

وتستخدم كلمة المحراب بالنسبة للمساجد كدلالة على العلامة التي تعين اتجاه أقدس مكان عند المسلمين، وهو بيت الله الحرام، ومحراب جامع تلمسان من المحاريب المجوفة التي ترجع فكرتها في العصر الإسلامي بالمغرب إلى جامع القيروان، ويتوسط هذا المحراب واجهة جدار القبلة بحيث يقع على محور البلاطة الوسطى وينفتح على يمينه باب يؤدي إلى الغرفة التي يحفظ فيها على المنبر وعلى يساره بابا آخر يفضي إلى غرفة الإمام[2].

واجهة المحراب:

يُتوج واجهة المحراب عقد متجاوز من نوع حذوة الفرس، ويبدو بحافته عقد زخرفي مفصَّص يتبع نفس الأسلوب الأندلسي في تنسيق المحاريب، لكون هذا المحراب ذو قطاع منحني ألأضلاع تمت تغطيته بقبة تتشكل من ستة عشر عرقا، استلهمت من المعالم الأندلسية [3].

1- محمد بن منظور، لسان العرب، ج2، ص305.
2- رشيد بو رويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص171.
3- المرجع نفسه، ص172.

وقـد زيـن المحـراب مـن الـداخل بكتابـة كوفيـة تتضـمن البسـملة "بسـم الله الـرحمن الـرحيم" وآيـات أخـرى مـن القـرآن الكـريم ،قـال تعـالى: ﴿**وَإِذَا قُـرِئَ الْقُـرْآنُ فَاسْـتَمِعُوا لَـهُ وَأَنْصِـتُوا لَعَلَّكُـمْ تُرْحَمُـونَ(204) وَاذْكُـرْ رَبَّـكَ فِـي نَفْسِـكَ تَضَـرُّعًا وَخِيفَـةً وَدُونَ الْجَهْـرِ مِـنَ الْقَـوْلِ بِالْغُـدُوِّ وَالْآصَـالِ وَلَـا تَكُـنْ مِـنَ الْغَـافِلِينَ(205) إِنَّ الَّـذِينَ عِنْـدَ رَبِّـكَ لَـا يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَادَتِـهِ وَيُسَـبِّحُونَهُ وَلَـهُ يَسْجُدُونَ(206)**﴾[1].

1- سورة الأعراف، الآيات 204-205-206.

ج- الـمـنـبـــر:

كلمة منبر اشتقت من "نَـبـرَ" و"إنْـتَـبَـرَ" بمعنى ارتفع[1].

المنبـر مرقـاة الخاطـب سُـمِيّ بـه لارتفاعـه وعلـوه إذن هـو منصـة مرتفعـة تتسع لوقوف وجلوس الخطيب أيام الجمعة والأعياد والمناسبات.

يتواجـد منبـر الجـامع الكبيـر علـى يمـين المحـراب، صُـنع مـن خشـب الجـوز، عجيـب الشـكل مـن حيـث الزخرفـة وإحكـام الصـنعة، إلا أنـه حـديث العهـد. طـول الواجهة الأمامية **2,48**م وعمقها أكثر من**3**م أما عرضه يقدر بـ **2,15**م.

كُتِـبَ فـي الواجهـة الأماميـة "**الملـك لله**" و"**لا غالـب إلا الله**" أمـا علـى يمـين المنبر نشاهد الكتابة التالية:

"**هـذا المنبـر هديـة مـن قـدماء رجـال الإصـلاح بـدار الحـديث بتلمسـان بسـم الشـيخ الإبراهيمـي طيـب الله ثـراه، صـنع فـار الـذهب عبـد المجيـد تـاريخ محـرم 1395هـ/مارس1975م**"[2].

1- محمد بن منظور، لسان العرب، ص 189.
2- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ص 219.

د- المـئذنـة:

الأذان هو الإعلام ويستعمل كحقيقة عرفية في النداء للصلاة والمآذن والمنارات اسمان للمكان الذي يتم منه الإعلام بدخول وقت الصلاة، وقد استعمل الاسمان في المشرق الإسلامي، وأطلق لفظ المنارة على المآذن حيث تضاء بالأنوار عند الغروب في رمضان حتى طلوع الفجر أما في بلاد المغرب العربي والأندلس فيطلق على المئذنة لفظ الصومعة، يرجع ذلك إلى أن أغلب مآذن المغرب الإسلامي ذات شكل مربع وهو يشبه أبراج الصوامع[1].

تعد مئذنة الجامع الكبير من أقدم المآذن الزيانية في المغرب الأوسط، شيدت من طرف يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية في 1236م وتقع على محور المحراب للمسجد، ويبلغ طول المئذنة 35م وهي تحتوي على سلم داخلها، يدور حول نواة مركزية يتم بواسطته الصعود إلى أسطحها[2].

تتميز مئذنة الجامع بالزخارف المتنوعة التي غطّت أوجهها الأربعة مثلما كانت المآذن الموحدية قبل ذلك، لكن الخاصية الفنية التي تمتاز بها المئذنة الزيانية هي الفتحات الضيقة عوضا عن النوافذ الواسعة[3].

هذه الفتحات صغيرة جدا وتكون في بعض المرات داخل العقود التي تحملها أو ضمن الإطار المحيط بظفيرة المعينات، وهذا يشاهد في الوجهين الشرقي والشمالي بمئذنة الجامع الكبير، وتمتاز مئذنته بزخارف تتشكل من عقود ذات تسعة فصوص[1].

1- أبو صالح الألفي ،الفن الإسلامي، ط2، دار المعارف، مصر، 1987، ص127.
2- صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص ص86-87.
3- المرجع السابق، ص 88.

ه- الـعقــد:

هـو عنصـر معمـاري مقـوس يعتمـد علـى نقطـة ارتكـاز واحـدة أو أكثـر ويشـكل فتحـات الإنـاء أو يحـيط بهـا، و يتـألف العقـد مـن عـدة حجـارات كـل واحـدة تسمى فقرة أو صنجة.

وقـد عرفـت العمـارة الإسـلامية أنواعـا مختلفـة مـن العقـود فكـان كـل إقلـيم مـن أقاليم الإمبراطورية الإسلامية يفضل بعض هذه العقود عن بعضها الآخر[2].

ظهـرت أربعـة أنـواع مـن العقـود أدّت دورا هامـا فـي تشـكيل وتـزيين المسـجد الجـامع، سـواء مـن الناحيـة الإنشـائية أو مـن الناحيـة الزخرفيـة ويمكـن تقسيم هذه العقود إلى أربعة أنواع حسب زخرفتها.

- **العقـد المفصـص الأوسـط:** هـو أكثـر ارتفاعـا مـن العقـود المجـاورة لـه، فصـه الثالث يهبط حتى يلامس الزخرفة.
- **العقود نصف الدائرية:** هي التي تحيط بالعقد الكبير الأوسط.
- **العقود المفصصة:** توجد في ممر الدعامة المعقودة.
- **العقود المذببة**[3].

1- المرجع نفسه، ص 92.
2- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1985، ص258.
3- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص112.

و- الحوامل والرّكائز:

هـي مـا يُـدعم بـه السـقف أو الجـدار، ولقـد أخـذت تسـميات عديـدة، عمـود، سـارية، أسـطوانة، وتعتبـر الركيـزة مـن أهـم العناصـر المعماريـة الإنشـائية فـي المباني والمساجد[1].

وفي الجامع الكبير توجد أربعة أنواع من الدعامات:

- **الـدعامات المسـتطيلة:** هـي متوزعـة علـى جميـع سـاحة الجـامع فهـي تشكل أغلـب صـفوف الـدعامات التـي تقـوم عليهـا عقـود بيـت الصـلاة والمجنبة الشرقية للجامع الكبير.
- **الـدعامات الصـليبية:** يمثلهـا الصـف الثالـث المـوازي لجـدار القبلـة مـن سلسـلة الـدعامات التـي تحمـل السـقف، وهـذا الصـف يقسـم بيـت الصـلاة إلى قسمين متساويين في عدد البلاطات.
- **دعامـات تشـبه حـرف T**(اللاتينـي): تكـاد لا تظهـر فـي بيـت الصـلاة باسـتثناء الـدعامتين اللتـين تقـوم عليهمـا عقـود قاعـدة القبـة فـي بيـت الصـلاة.
- **دعامات يلتصق بها عمود**[2].

ويبلـغ عـدد الأعمـدة فـي الجـامع الكبيـر بتلمسـان ثمانيـة أعمـدة فقـط، منـه عمـودان يكتنفـان فتحـة المحـراب أمـا الخمسـة الباقيـة فتشـغل صـفي الروافـع التـي

1- زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ص151.
2- مبارك بوطارن، العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن 16حتى نهاية القرن 18، دار النشر، الإسكندرية، 1991، ص76.

ح- الـصحـن:

صـحن المسـجد هـو المسـاحة المكشـوفة منـه، والتـي تتصـل بحـرم المسـجد وأروقتـه وجدرانـه الخارجيـة، ولمعظـم المسـاجد الرسـتمية الجامعـة صـحون والصـحن بالنسـبة للجـامع هـو رحبتـه المتسـعة التـي تلـي بيـت الصـلاة، وبالنسـبة للمسـجد هـو جـزء منـه، ومكمـل لـه وأحـد عناصـره الرئيسية التـي لا غنـى لـه عليـه. وفـي كثيـر مـن المسـاجد يضـم الصـحن مصـادر للميـاه يتوضـأ منهـا النـاس وهـي فـي الأغلـب علـى شـكل بحيـرات، ينـدفع منهـا المـاء الجـاري وتشـكل بالإضـافة إلـى مهمتها الأساسية، لمسة جمالية على صحن المسجد[1].

أمـا صـحن الجـامع الكبيـر بتلمسـان هـو فضـاء واسـع مربـع الشـكل تبلـغ مسـاحته 400م^2 مـبلط بمربعـات كبيـرة مـن الرخـام، وفـي وسـطه حوضـان، أحـدهما مسـتطيل الشـكل يحـيط بـه جـدار صـغير حـديث العهـد، مغشـى بـالزليج المختلـف الألـوان وفـي وسـطه نـافورة مـن الرخـام يجـري فيهـا مـاء عـذب لـذة للشـاربين ولاسـيما فـي فصـل الصـيف، وثانيهمـا مـدور الشـكل تحـيط بـه مصـاطب مـن الرخـام يجلـس عليهـا المتوضـئون وهـذا الحـوض الأخيـر يجـري إليـه المـاء مـن الحوض الأول بواسطة قناة تجمع بينهما[2].

1- المرجع السابق، ص114

2- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ص222.

ط- الـقـبـــاب:

هــي بنــاء دائــري المسـقط مقعـر مــن الــداخل مقبـب مـن الخــارج، وقـد استخدمت القبـاب فـي العمـارة الإسـلامية بكونهـا رمـزا روحانيـا يرمـز إلـى السماء خاصـة فـي المنـاطق المسـقوفة مـن المسـجد حيـث تعتبـر صـورة مصـغرة لمـا كـان يـراه العربـي فـي صـحرائه مـن اتسـاع الأفـق واسـتدارة السـماء مـن فوقـه[1] قـال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[2].

وتعتبـر قبـة المسـجد الجـامع بتلمسـان أول قبـة بنيـت فـي المغـرب، وتعـد بحـق رائعة من روائع الفن الإسلامي.

تتـألف هـذه القبـة مـن إثنـا عشـر عقـدا كبيـرا مبنيـا مـن الأجـور وهـذه العقـود متجاورة دقيقة الصنع تتقاطع في أعلى القبة تاركة قبيبة مقرنصة.

أضــاف الزيــانيون قبــة ثانيــة مزينــة بالأخاديـد، متقاطعـة الضـلوع مـن وسـط الجـامع، فـي البلاطـة الرابعـة، لكنهـا أقـل جمـالا و أناقـة مـن القبـة المرابطيـة، ومـع هـذا تظهـر براعـة المعمـاري الزيـاني فـي كيفيـة الانتقـال مـن الفضـاء المربـع المقـرر تغطيتـه إلـى قاعـدة القبـة المضـلعة بواسـطة حنايـا ركنيـة علـى شـكل مثلثـات منحنيـة، يحتـوي كـل مثلـث منهـا علـى قبيبـة مضـلعة[3] داخـل مربـع ذي ثمانيـة رؤوس.

1- يحيى وزيري، موسوعة عناصر الزخرفة الإسلامية، مكتبة مدبولي،1999، ص79.
2- سورة الرعد، الآية 02.
3- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص185.

أمـا الـنص الكتـابي فقـد نُفّـذ علـى الجـص الـذي يحـيط بـالمحراب مـن الشـمال واليمـين، اليمنـى تحتـوي علـى شـريط ذو زخـارف نباتيـة وبـه شـريط واسـع مـن الكتابة الكوفية يلتف حول ضفيـــــرة متشابكة[1] ونصها:

قـال تعـالى:﴿نَصْرٌ مِّـنَ اللّـهِ وَفَـتْحٌ قَرِيـبٌ﴾[2]، وقـال تعـالى: ﴿يَأَيّهَـا الّـذِينَ آمَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ(77)﴾[3].

أمـل اليسـرى: أصـغر مـن السـابقة تضـم مسـتطيلا ذو زخـارف نباتيـة وكتابيـة تدور حول شريط متداخل نصّها:

قـال تعـالى: ﴿فِـي بُيُـوتٍ أَذِنَ اللّـهُ أَن تُرْفَـعَ وَيُـذْكَرَ فِيهَـا اسْـمُهُ يُسَـبّحُ لَـهُ فِيهَـا بِالْغُـدُوّ وَالآصَـالِ(36)رِجَـالٌ لاّ تُلْهِـيهِمْ تِجَـارَةٌ وَلاَ بَيْـعٌ عَـن ذِكْـرِ اللّـهِ وَإِقَـامِ الصّلاَةِ وَإِيتَآءِ الزّكَـاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ(37)﴾[4]

1- المرجع السابق، ص185
2- سورة الصف، الآية 13.
3- سورة الحج، الآية77.
4- سورة النور، الآيتان 36-37.

ي- الـمقرنـــص:

هـو حليـة معماريـة تشـبه خلايـا النحـل، وتُـرَى فـي العمـائر مُـدَلاة فـي طبقـات مصـفوفة بعضـها فـوق بعـض، وتسـتعمل للزخرفـة المعماريـة أو للتـدرج مـن شـكل إلـى آخـر ولاسـيما مـن السـطح المربـع إلـى السـطح الـدائري الـذي تقـوم عليـه القباب.

يقـوم المقـرنص بقبـة الجـامع الكبيـر علـى التشـكيل الجزائـري أي أن شـكل المقرنصـات ذاتهـا تحتـوي علـى حنيـات مقعـرة و هـي ذات أشـكال منشـورية متراكمة[1].

1- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون، ديوان المطبوعات الجامعية ،1991 ، ص82.

الفصل الثاني

أهمية الجامع الكبير الحضارية

الفصـــل الثاني: أهمية الجامع الكبير الحضارية

كـان المسـجد قائمـا بـدوره التعليمـي منـذ البـدايات الأولـى للإسـلام، فقـد وردت نصـوص علـى الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم تؤكـد ذلـك، منهـا قولـه عليـه الصـلاة والسـلام: **(مـن جـاء مسـجدي هـذا ولـم يأتـه إلا لخيـر بتعلمـه أو يعلمـه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله)**[1].

كـان الصـحابة يتنـاولون فيـه مختلـف القضـايا العلميـة المتعلقـة بكتـاب الله تعـالى بالدراسـة والتمحـيص، وكـان المسـجد بمثابـة المركـز العلمـي الأول الـذي نهـل فيـه الصـحابة علـوم الإسـلام، كمـا كـان الحلقـة الأساسـية التـي انطلقـت منهـا دعـوة الإسـلام فـي الجزيـرة العربيـة، ومنهـا إلـى بقـاع الـدنيا المختلفـة. وظـل المسـجد يمـارس دوره التعليمـي عبـر العصـور، حتـى صـار ارتباطـه بـالتعليم كارتباطـه بالصـلاة، وأصـبح مـن أكبـر معاهـد التعلـيم والثقافـة، و مؤسسـة مـن أهـم المؤسسات التعليمية[2].

1- ابن ماجه محمد بن يزيد القزوين، السنن، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ج1، ص82.
2- عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع الجزائر،2011، ط1، ص144.

المبحث الأول: قيمته العلمية في الفترة الزيانية.

عُنِـي الزيـانيون ببنـاء المسـاجد فـي المـدن والقـرى وكـان سـلاطينهم يحرصـون علـى العنايـة بهـا، يبنونهـا ويجـددون مـا دثـر منهـا، وكـان من أبـرز هـذه المساجد، "الجامع الأعظم بتلمسان"[1].

1- الوظائف التعليمية:

لـم تقتصـر وظيفـة المسـجد علـى أداء شـعيرة الصـلاة فحسـب، بـل كـان الجانـب التعليمـي يشـكل أحـد أهـم الوظـائف الأساسـية المنوطـة بـه والتـي لـم تنفـك عنـه، فقـد أشـارت النصـوص التاريخيـة إلـى مجموعـة مـن الوظـائف كـان المسـجد مضلعا بها، منها:

أ- وظيفة المؤدب:

وهـو المعلـم الـذي يقـوم بتعلـيم الكتابـة والقـراءة، وتحفـيظ القـرآن الكـريم للصـبيان، والنظـر فـي الألـواح وإصـلاح مـا فيهـا مـن خطـأ، وتعلـيمهم كـذلك إعـراب القـرآن الكـريم، والشـكل والهجـاء والخـط الحسـن وحسـن القـراءة بالترتيب.

وبعـض المـؤدبين يقومـون بتعلـيم الصـبيان إلـى جانـب مـا سـبق أحكـام الوضـوء والصـلاة وفرائضـها وسـننها، وصـلاة الجنـائز ودُعائهـا، وصـلاة الاستسقاء والخسوف، وكانت هذه الوظيفة عامة في مختلف مساجد الدولة[2].

1- مفدي زكرياء، النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانين، الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، رجب- شعبان1395هـ/جويلية-أوت1975م، ص165.
2- عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، ص148.

ب- وظيفة قراءة الكتب:

وهـو الـذي تسـتند إليـه قـراءة كتـب معينـة، بـأمر مـن الشـيخ أو العـالم. ويكـون قـارئ الكتـب علـى قـدر مـن العلـم، حتـى تكـون قراءتـه دقيقـة وواضـحة ويسـتوعبها الحضـور مـن طلبـة وعامـة، هـذا إلـى جانـب العـالم الـذي يكـون محـور الشـرح والمناقشـة، فقـد كـان أبـن مـرزوق الخطيـب فـي صـغره قارئـا للكتب مع مجموعة أخرى من الطلبة النجباء يتناوبون على قراءة الكتب[1].

ج- وظيفة مفسر:

وهو الذي يتولى تفسير القرآن الكريم. ويبدو أن هذه الوظيفة كانت رئيسية في مهام المسجد، ويتولاهما العلماء الكبار، ويحضرهما العامة والخاصة.

د- وظيفة مدرس:

وهـو الـذي يتـولى تـدريس العلـوم الشـرعية مـن التفسـير، والحديـث، والفقـه، والنحـو، والتصـريف، ونحـو ذلـك. وينصـب لتعلـيم العلـم وبثـه، والجلوس لذلك في المساجد.

ه- الحزابون:

وهـي مجموعـة ملتزمـة بقـراءة أحـزاب معينـة مـن القـرآن الكـريم داخـل المسـجد، فـي مواقيـت معينـة مـن اليـوم والليلـة، وغالبـا مـا تكـون بعـد صـلاتي الفجـر والعصر[2].

1- المرجع نفس، ص149.
2- عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، ص180.

2- نظام التعليم بالجامع الكبير:

أ- العلوم المُدَرّسة:

العلـوم المدرسـة بالمسـاجد والجوامـع، عـادة مـا تكـون متعلقـة بـالعلوم الإسـلامية، كالتفسـير، والحـديث، والفقـه، والتوحيـد، والقـرآن، والأصـلين(أصـول الفقـه وأصـول الـدين)، والفـرائض، واللغـة، والنحـو، والتـي لا تتنـافى مـع نصـوص الـوحي مـن الكتـاب والسـنة وكـان للعلـوم العقليـة نصـيبا وافـرا ضـمن العلـوم المدرسـة فـي المسـجد، فقـد أجـاز الشـيوخ قـراءة الحسـاب، وعلـوم الهندسـة، والمنطق، والجدل، والجبر والمقابلة، والطب بالمسجد[1].

ب- مراحل التعليم المسجدي:

اقتصـر التعلـيم بالجـامع الأعظـم فـي المرحلـة الأولـى علـى تعلـيم القـراءة والكتابـة ، وحفـظ القـرآن الكـريم، والحـديث، ثـم يتـدرج بعـد ذلـك إلـى دراسـة النحـو، والصـرف، والأدب، والفقـه، وإذا مـا تـم الـتمكن فـي هـذه المـواد، تـدرج التعلـيم إلـى المرحلـة ألأخيـرة، وهـي مـا يمكـن أن نطلـق عليهـا التعلـيم العـالي، فيدرسـون الفقـه وأصـوله، والحـديث ومصـطلحه، والقـرآن وتفسـيره، واللغـة والنحـو والأدب، والقـرآن والتوحيـد، والعلـوم العقليـة والاجتماعيـة بمزيـد مـن التعمق والتفصيل[2].

1- أبو زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،تح،د.عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400-1980،ج1،ص128

2- ينظر، عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، الأصالة، العدد26، ص138.

وقد ساهم المسجد بنوعين من التعليم:

النـوع الأول: تعلـيم مـنظم للطلبـة الـرواد، الـذين ينتقلـون مـن مرحلـة إلـى أخـرى وفق ما أشير إليه من قبل.

النـوع الثـاني: تعلـيم للعامـة مـن النـاس علـى اخـتلاف أعمـارهم وطبقـاتهم، وهـذا التعليم عـادة مـا يكـون فيـه قـراءات لكتـب الـوعظ والتفسـير والحـديث، أو لكتب فقهية تتناول ما يحتاجه الناس من أمور دينهم[1].

وكـان يحضـر مجـالس العلـم هـذه إلـى جانـب طلبـة تلمسـان طلبـة آخـرون مـن فـاس وبجايـة، وبـلاد إفريقيـا وغيرهـا، خاصـة عنـدما كـان يقـوم عليـه كبـار العلمـاء أمثـال: أبـي إسـحاق إبـراهيم بـن يخلـف التنسـي الـذي كـان مجلسـه بالجـامع الأعظـم يتسـع للكثيـر مـن الفقهـاء يحضـرون دروسـه ويتعلمـون منـه، وقـد تخـرج علـى يديه ما لا يحصى من الطلبة، الذين أصبحوا في ما بعد من كبار العلماء[2].

ودرس فيـه أيضـا العـالم الكبيـر أبـو عبـد الله الحسـني الشـريف التلمسـاني، وتخـرج عليـه مـن التلاميـذ مـن لا يحصـى مـن صـدور العلمـاء، وأعيـان الفضـلاء، ودرس فيـه ابنـه عبـد الله، الـذي تميـز بمعرفتـه لطـرق التعلـيم المختلفـة[3] واستيعابه لعلوم عصره، حتى لم يكن في المغرب أكثر اجتهادا منه في الإفراد وانتفاع الطلبة، وارتحلوا إليه من الآفاق[4].

1- عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، ص144.
2- بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص119.
3- المصدر نفسه، ص 173.
4- المرجع السابق، ص 119

كمـا درس فيـه كـل مـن القاضـي سـعيد العقبـاني، والعـالم الحسـن بـن مخلـوف المعـروف بأبركـان، والشـيخ بـن زاغـوا، والعـالم محمـد بـن يوسـف السنوسـي وغيـرهم مـن كبـار العلمـاء، وكلهـم شـكل حلقـات متواليـة، كـان الجـامع الأعظـم يؤدي فيها دوره التعليمي بكفاءة واقتدار[1].

وسـاهمت المكتبـات المسـجدية فـي تقـديم المـادة العلميـة للطلبـة وعامـة النـاس وفـي معظـم الأوقـات، بالمطالعـة فيهـا داخـل المسـاجد والجوامـع، أو بإعارتهـا خـارج المسـجد لبيـوت الطلبـة، أو لعمـوم النـاس، أو للقـراءة أو النسـخ، وكانـت تشـكل القاعـدة الخلفيـة التـي يلتجـأ إليهـا العلمـاء والطلبـة للاسـتفادة والمداومـة علـى طلب العلم[2].

1- يحيي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، ص123.
2- عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، ص154.

المبحث الثاني: قيمته العلمية في الفترة الحديثة والمعاصرة.

1- خلال فترة الاستعمار:

تعرضت مدينة تلمسان إلى التدمير وتعرض أهلها للقتل والتشريد، فاستولى العدو على ديارهم وممتلكاتهم، ووضع يده على المساجد، والمدارس والزوايا، فهدم بعضها، وحول بعضها إلى مؤسسات فرنسية، و أصيبت حركة التعليم بالشلل وتعرضت مكتبات المساجد إلى النهب والتخريب[1].

فأخذت الإدارة الفرنسية تعمل على ضرب البنية الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية للجزائريين، وإضعافها حتى يسهل عليها القضاء على الشخصية الجزائرية، ومقوماتها السياسية، والفكرية، تمهيدا لإزالتها، لتحل محلها الشخصية الفرنسية، فوضعت يدها على ممتلكات الوقف، لأنه الممول الأساسي للمدارس، والمساجد، والزوايا، والمكتبات، والحركة العلمية على وجه العموم[2].

وضمتها إلى أملاك الدولة الفرنسية، للقضاء على التعليم العربي الإسلامي وتقليص عدد الأئمة، فنضب بذلك معين التعليم والمعلمين والطلاب، وتوقفت الحياة العلمية أو كادت، وأصبحت العبادة والتعليم لا يمارس في المساجد والمدارس إلا برخصة، تمنحها الإدارة الفرنسية عادة للأئمة والمدرسين الموالين لها وللجهّال منهم، فتفشى الجهل والأمية، وانتشر الفقر

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998، ط1،ج3، ص20.
2- المرجع نفسه، ص21.

والمـرض فـي أواسـط المسـلمين، مـع هيمنـة الاسـتعمار علـى مرافـق الـبلاد والعباد[1].

فاسـتغل القساوسـة هـذه الظـروف البائسـة، وأخـذوا يطوفـون الـبلاد مـن شـمالها إلـى جنوبهـا حـاملين بأيـديهم اليمنـى الصـليب، وبأيـديهم اليسـرى الخبـز والـدواء، محـاولين بهـذه الطريقـة وتحـت هـذه الأوضـاع، أن يحولـوا العديـد مـن المرضى الجزائريين وأيتامهم عن دينهم الإسلامي إلى الديانة النصرانية[2].

كـان غـرض الإدارة الفرنسـية مـن إنشـاء المدرسـة الشـرعية الرسـمية الفرنسـية، فـي تلمسـان هـو امتصـاص التعلـيم فـي المسـاجد، والمـدارس القرآنيـة الحـرة، والزوايـا، تمهيـدا للتقلـيص منـه ثـم القضـاء عليـه، ومحاصـرة الفضـاءات الثقافيـة الإسـلامية وبـالرغم مـن هـذه الظـروف التـي ألمـت بـالمجتمع التلمسـاني، فقـد أخـذ يتكيـف مـع الأوضـاع بعـد قـرن مـن الاحـتلال، ورفـض الأجنبـي الـدخيل للحفـاظ علـى الهويـة، فـركن للنضـال السياسـي والثقـافي، وتمسـك بـالتعليم العربـي الإسـلامي فـي المـدارس القرآنيـة الحـرة، وفـي المسـاجد والزوايـا. فصـار هـذا التعلـيم شـكلا مـن أشـكال المقاومـة وكانـت الـدروس العامـة، فـي الفقـه والتوحيـد والتصوف هي المواد المسموح بتدريسها في الجامع الكبير[3].

وكـان يقـوم بهـا "الشـيخ بوثلجـة " بشـرط عـدم الخـروج عـن الخـط المسـطور، مقابـل راتـب شـهري600 فرنـك فقـط، رغـم أن لـه عائلـة، وقـد أنتقـد

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص22.
2- عبد العزيز فيلالي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية2011، مجلة الوعي، العدد المزدوج(3-4)، ص16.
3- المرجع السابق،الصفحة نفسها.

الشـيخ مـن طـرف السـلطات الفرنسـية بأنـه منغلـق الفكـر، قـديم الطريقـة ضـحل المعلومـات، لأنـه لـم يعمـل علـى التقـرب مـن الفرنسـيين، وذهـب فـي دروسـه إلـى الدعوة إلى التصوف إذا لم تكن دروسه مراقبة[1].

كمـا حولـت السـلطات الفرنسـية جـزء مـن هـذا الجـامع الكبيـر إلـى محكمـة شـرعية ومـع هـذا بقـي المسـجد محافظـا علـى دوره فـي حفـظ الشخصـية الوطنيـة وفـي ترسـيخ الأخـلاق الدينيـة، وفـي مقاومـة الاحـتلال الفرنسـي منـذ أن وطئـت أقـدام الجـيش الاسـتعماري أرض الـوطن ولعـل أبـرز دور قـام بـه الجـامع الكبيـر فـي هـذه الفتـرة هـو حمايـة اللغـة، والثقافـة العربيـة، ومقاومتـه الشـديدة لسياسـة الفرنسـة والتنصـير، وتمسـكه الشـديد بحمايـة الشخصـية العربيـة الإسـلامية للجزائـر، وهـو مكسـب وطنـي هائـل عـاد بـالنفع علـى المقاومـة الوطنيـة خـلال معارك التحرير المختلفة وخاصة ثورة نوفمبر1954-1962[2].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص ص115-116.
2- ينظر، سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، ص18.

2- فترة ما بعد الاستقلال:

بعد استعادة الجزائر لاستقلالها الوطني عام1962، استعاد المسجد دوره ومركزه بفضل رعاية الدولة وإقبال المواطنين على دعمه بالإصلاح، وذلك في إطار السعي لإعادة الوجه العربي الإسلامي للمدينة والبلاد.

وحاولت الإطارت الدينية أن تشرك الجامع في عمليات محو الأمية، ورفع الوعي الديني والاجتماعي للسكان، رغم ما عاق رسالة الجامع من الإطارات الدينية من ناحية التكوين الثقافي، وقد حاولت وزارة الشؤون الدينية أن تواجه هذا الضعف بالاهتمام بالتكوين عن طريق الإكثار من معاهد التكوين والجامعات الإسلامية والملتقيات الفكرية الإسلامية[1].

1-المرجع السابق، ص20.

3- خلال الفترة الحالية:

تعـرف مدينــة تلمســان اليـوم تطـوّرا مسـتمرا بشـكل عجيـب إلا أن قلبهـا لا يـزال ينـبض ضــمن المدينــة القديمــة وآثارهــا العريقــة التــي احتفظـت بطابعهـا الخـاص وجمالهـا السـاحر والتـي مـن بينهـا "**الجـامع الكبيـر**" الـذي إلـى حـد الآن يلعـب دورا فــي تنميــة مــدارك الإنســان، وترســيخ الأخــلاق الطيبــة والعــادات الحميـدة التـي يحـث عليهـا ديننـا الحنيـف، مـن أجـل خلـق المـودة بـين مختلـف الفئات والطبقات في المجتمع.

ويمكننـا إيجـاز هـذا الـدور بشـهادة حيـة للسـيد مصـطفى باحيـا، مفـتش فـي التوجيـه الـديني والتعلـيم القرآنـي الـذي أمـدنا بمهـام المسـجد حاليـا وهـو يتجسـد فـي جوانب عدة أهمها:

3-1- إقامة الشعائر الدينية والمتمثلة في:

- إمامة الصلوات الخمس.
- إمامة صلاة الجمعة التي يتخللها درس وخطبة.
- إمامة صلاة التروايح في رمضان.
- صـلاة العـيديـن[1].

1- كلمة للسيد مصطفى باحيا مفتش في التوجيه الديني والتعليم القرآني، يوم16ماي2012 على الساعة 14:30.

علمـا أن دوره لـم يبقـى محصـورا عنـد أداء العبـادات بـل تجـاوز ذلـك إلـى جوانب أخرى.

3-2- الجانب التعليمي:

نظـرا لتعـدد المسـاجد والمـدارس بتلمسـان تقلـص الـدور التعليمـي للجـامع، إلا أنه بقي يحافظ على :

- إقامـة درس دينـي مختصـر بعـد صـلاة العصـر وقبـل صـلاة المغـرب، تتخللها قراءة للحزب الراتب.
- تعليم القرآن إما لِطلبة محليين أو طلبة أجانب.
- دروس أسـبوعية فـي المسـجد أقلهـا 03 دروس فـي محـاور مختلفـة، فقه، سيرة نبوية، حديث وعلوم القرآن.
- عقد حلقات يومية في شهر رمضان.
- برنامج لمحو الأمية بالتنسيق مع لجنة محو الأمية.
- وجـود مكتبـة خاصـة وفضـاء للإنترنـت للأئمـة(نـادي الإمـام) مـن أجـل تثقيفهم.

3-3- الجانب الاجتماعي :

- إبرام عقود الزواج.
- الاحتكاك بالمصلين والوقوف إلى جانبهم في أفراحهم وأحزانهم.

- وعـظ النـاس وحـثهم علـى الصـبر والرضـا بقضـاء الله وقـدره فـي المآتم[1].
- إصلاح ذات البين والسعي بالكلمة الطيبة بين المتخاصمين.
- إعطـاء دروس وعظـات مـن الأئمـة للمسـاجين بالتنسـيق مـع المؤسسـات العقابية وكذلك بالنسبة للنساء من طرف المرشدات.

3-4- الجانب الاقتصادي :

- جمـع زكـاة الفطـر بـالحي وتقسـيمها بالتسـاوي علـى الأسـر المعـوزة حسب الأولوية.
- جمع الزكاة من طرف لجنة قاعدية يؤسسها الإمام .
- القـرض الحسـن: حيـث يشـترط تـوفر مبلـغ مـن المـال لأي ولأيـة يقـدم للشـباب العاطـل عـن العمـل بالتنسـيق مـع بنـك إسـلامي مـن اجـل مسـاعدتهم علـى القيـام بمشـروع معـين شـريطة أن يـتم إعادتـه بعـد فتـرة محددة بدون فائدة.

بالإضـافة إلـى هـذا كلـه، إقامـة نـدوات ثقافيـة، واحتفـالات إسـلامية بالمناسبات كـ: **لـيلـة القدر والمولد النبوي الشريف**[2].

1- كلمة للسيد مصطفى باحيا، مفتش في التوجيه الديني والتعليم القرآني، يوم16 ماي2012على الساعة 14:30.
2- كلمـة للسيد مصطفى باحيا، مفتش في التوجيه الديني والتعليم القرآني، يوم 16 ماي2012 على 14:30 .

المبحث الثالث: بعض علماء وفقهاء الجامع الكبير:

تلمسان دُرة الحواضر الإسلامية في المغرب الإسلامي التي لم تنجب مدينة من العلماء والفقهاء مثلما أنجبت، الذين كانوا يلقون دروسهم في مساجدها، كمسجد سيدي بومدين، مسجد سيدي الحلوي، مسجد أبي الحسن، والجامع الكبير، هذا الأخير الذي لعب دورا هاما في ترسيخ العديد من الشخصيات التلمسانية التي لمعت في سماء المغرب العربي مثل[1]:

- **أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمان** المعروف **بابن أبي قنون** الذي كان فقيها مالكيا متبحرا في الفقه، محققا لأصوله، ولي قضاء الجماعة بمراكش وتلمسان، قاعدتي الموحدين ولا يحصل على وظيفة القضاء في العواصم إلا من طال باعه في أصول الفقه وفروعه وفاقد غيره، فعدل وأحسن السيرة[2].

روى عن أبي الحسن شريح وأبي عبد الله أحمد الخولاني، وأبي علي الصدفي، وأبي عمران ابن أبي تليد.

1- ينظر، محمد الدراجي، من أعلام المفسرين التلمسانيين، مجلة الوعي، العدد المزدوج(3-4)، ص37.
2- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص74.

وروى عنه أبو الحسن بن محمد بن خيار، وأبو الخطاب بن الجميل، وأبو طالب عقيل بن عطية، وأبو عبد الله بن عبد الحق، وأبو محمد قاسم بن الحشا. توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة[1].

❖ **العلماء المرازقة:**

- ✓ **ابن مرزوق الجد .**
- ✓ **ابن مرزوق الحفيد.**
- ✓ **ابن مرزوق الكفيف.**
- ✓ **ابن مرزوق حفيد الحفيد.**

هذه الأسرة الكريمة، بشخصياتها العلمية البارزة، سنتطرق إليها بدراسة نموذجية في الفصل الأخير.

❖ العالمان الفقيهان الإخوان **ابنا الإمام: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن الإمام وأبو موسى عيسى**، اللذان قاما بتنقيح بعض المسائل الفقهية من خلال الأصول، وتوضيح ما جاء غامضا فيها، وكانا يذهبان إلى الاجتهاد وترك التقليد، حتى ذاع صيتهما بين العلماء وراحا يديران مدرسة سميت باسميهما في تلمسان ويدرسان بها[2].

1- يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص100.
2- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، موفم للنشر، ص ص13-14.

تخـرج عليهمـا أمثـال الشـريف التلمسـاني، وابـن مـرزوق الخطيـب، والإمـام المقري الجد، والعقباني، وغيرهم كثير.

تـوفي أبوزيـد أكبـر الأخـوين **741هـ/1340م** وأبـو موسـى تـوفي بمـرض الطـاعون **749هـ/1349م**. ولـم يـذكر للـرجلين مصـنفات، رغـم مكانتهمـا العلميـة الفائقـة، سـوى مـا ذكـر عـن أبـي زيـد مـن شـرح لمختصـر ابـن الحاجـب الفرعـي، ولعل عذرهما في ذلك كثرة الأسفار، والتفرغ للتدريس[1].

❖ **أبو عبد الله أحمد المقري التلمساني:**

الـذي ينحـدر مـن أسـرة اشـتهرت بـالعلم والفقـه والتجـارة، ويعـد مـن أبـرز العلمـاء الـذين أنجبـتهم المدرسـة المالكيـة فـي تلمسـان لـه تصـانيف عديـدة زادت عن 15 مصنفا في الفقه والتصوف.

❖ **أبو عبد الله الشريف الحسني التلمساني:**

درس التصـوف وتلاخـيص أرسـطو لابـن رشـد والحسـاب والهندسـة والفـرائض، فضـلا عـن الفقـه واللغـة العربيـة وسـائر العلـوم الشـرعية وغيرهـا مـن العلوم النقليـة والعقلية[2].

1- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح،مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان.1996م، ص486.
2- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، الجزء الخامس، دار صادر، ص284.

❖ **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:**

الـذي شـرّق وغـرّب وحاضـر فـي معظـم المـدن الإسـلامية الكبـرى، درس الحـديث واشـتهر فيـه يـزدحم حولـه الطـلاب حتـى يمتلـئ المسـجد والسـكك التـي حولـه فـي تلمسـان، كبيـر القـدر حيـا أو ميتـا، زاهـد ورع، ذو مكانـة عظيمـة عنـد الملوك، ألف في العلم كثيرًا[1].

❖ **محمد بن يوسف السنوسي:**

هـو أبـو عبـد الله، صـاحب العلـوم الظـاهرة والباطنـة، والتوحيـد والقـراءات، والتفسـير، والحـديث والمنطـق، صـاحب العقائـد التـي لـم يـأت أحـد بمثلهـا مـن المتـأخرين، لـه **"مكمـــل، إكمـال الإكمـال علـى المسـلم"** ولـه مقدمـة فـي المنطـق، وشهرته تغني عن التعريف به، توفي سنة 895هـ[2].

❖ **أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي الحسني الشريف التلمساني:**

نجـل الإمـام العلامـة أبـي عبـد الله الشـريف التلمسـاني: ولـد بتلمسـان 748هـ/1374م، حفظ القرآن فـي صـغره، ثـم تلقـى طائفـة مـن العلـوم، خَلَفَ والـده فـي مجلسـه للعلـم بعـد وفاتـه، تنقـل بـين المراكـز الثقافيـة والمـدارس والمسـاجد

1- يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص114.
2- ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص204.

الكبـرى للتـدريس فـي رحابهـا، تلقـى العلـم علـى يديـه علمـاء أجـلاء أمثـال: ابـن مـرزوق الحفيـد، القاضـي الأندلـــــسي أبـو بكـر بـن عاصـم، أبـو العبـاس أحمـد بن موسى البجائي[1].

❖ **أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني:**

ولـد سـنة 720هـ/1320م فـي فتـرة حكـم السـلطان الزيـاني أبـي تاشـفين، تلقـى العلـم بأحيـاء المدينـة ومسـاجدها، وظـل يترقـى فـي العلـم والجـاه حتـى بلـغ ذروة مناصب القضاء، حيث عمل قاضيًا بالمدينة.

تـتـلـمـذ على بعض الأساتذة مـثـل:

أبـي عبـد الله محمـد بـن إبـراهيم الآبلـي التلمسـاني، أبـي زيـد عبـد الرحمـان بـن محمد بن عبد الله ابن الإمام التنسي، وابن الإمام أبي موسى عيسى.

لـه عـدة مؤلفـات نـذكر منهـا: شـرح التلخـيص لابـن البنـا، شـرح قصـيدة ابـن ياسمين في الجبر والمقابلة، شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين[2].

1- عن د.محمد مرتاض، من أعلام تلمسان دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ص181،182.
2- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص ص 205،204.

❖ **الإمام أبو العباس أحمد بن محمد ابن زكري التلمساني:**

اعتبر ابن زكري علم تلمسان في زمانه، فقد تصدر الإفتاء والتدريس والإمامة والتأليف وأجمعت كتب التراجم على رئاسته للحضرة العلمية بعد المرازقة الكبار، تتلمذ على يد الإمام أبو العباس أحمد المغاوري، سعيد العقباني، الإمام الثعالبي. ومن تلاميذه حفيد الحفيد ابن مرزوق، الونشريسي[1].

من مؤلفاته: بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تأليف في القضاء والفتيا[2].

1- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، ص43.
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص95.

الفصل الثالث

نماذج من أعلام الجامع

الفصـــل الثالث: نماذج من أعلام الجامع:

إن مـن أعظـم المقاصـد لكتابـة تـراجم علمائنـا، بيـان الجوانـب المشـرقة مـن سـير علمائنـا والتنويـه بمـا لهـم مـن أعمـال جليلـة وأيـاد بيضـاء وإيقـاظ الهمـم، والارتقـاء بـالأخلاق وتقـويم عوجهـا، وتزويـد القـارئ بشـيء مـن خلاصـات تجـارب أولئـك الـذين أفنـوا أعمـارهم فـي تعلـيم النـاس مـا يـنفعهم وتبصـيرهم بعيـــــوبهم حتى يظفروا بالسعادة في حياتهم، وبالنجاة عند لقاء ربهم.

وقـد اهـتم العلمـاء بمختلـف العلـوم وعلـى رأسـها العلـوم الدينيـة واللغـة والأدب والفلك والمنطق وغيرها من علوم الآلة التي نبغ فيها الكثيرين.

وإذا أخـذنا الجـامع الأعظـم، نـراه قـد اسـتوعب كـل العلـوم المـذكورة سـابقا، فَعَمِـلَ علـى ترقيتهـا وتوريثهـا للأجيـال اللاحقـة، فقـد درّس وتخـرج فـي أحضـانه كبـار العلمـاء، وسـاهم فـي نبـوغ وبـروز الكثيـر مـن الأسَـر، حتـى صـارت تلمسـان من أهم الحواضر العلمية في المشرق والمغرب.

المبحث الأول: عـائـلـة الـمـرازقـة.

1) نبذة عن عائلة المرازقة:

أ- التعريف بأسرة المرازقة:

عرفت تلمسان عددًا من الأسر التي ضمت كثيرًا من العلماء مثل أسرة العقباني، وأسرة الشريف التمساني، وأسرة الإمام، وأسرة المرازقة وغيرها من الأسر.

لقد حفلت أسرة المرازقة الكريمة بشخصيات علمية بارزة كان لها أثرها في الشرق والغرب، وعلى رأس هذه الشخصيات: **ابن مرزوق الجد، الحفيد، الكفيف وحفيد الحفيد**[1].

ب- أصل أسرة المرازقة:

يعود أصل هذه الأسرة إلى القيروان، فعائلة المرازقة التلمسانية من بطون البرانس، من ولد عجيسة ابن برنس مواضعها في نواحي تونس والجبال المُطِلّة على المسيلة. وفي أواخر القرن الخامس الهجري هاجرت من هناك واستقرت في تلمسان، حيث ورد إلى تلمسان مرزوق وشقيقاه: خلوف ومعافي من مدينة القيروان فاستوطنا تلمسان وبنيا بها[2].

1- د.حفيظة بلميهوب، العلماء المرازقة، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، ص160.
2- ابن مريم محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص226.
3- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص147.

كـان بنـو مـرزوق يحترفـون العلـم والتجـارة فـي دكـاكين لهـم بالقيصـرية، ودرب مرسى الطلبة بتلمسان، وكان لهم عدد من المنازل و الدور و الخدم[3] .

اشـتهرت أسـرة مـرزوق بـالعلم والتقـوى، وحفلـت بشخصـيات مرموقـة مـدة طويلـة مـن الـزمن، فمـن الجَـد مـرزوق العجيسـي الـذي اسـتقر بتلمسـان فـي القـرن الخـامس الهجـري (الحـادي عشـر مـيلادي) إلـى الجـد محمـد المُكَنّـى بـأبي بكـر ابـن مـرزوق الـذي غلبـت كنيتـه علـى اسـمه، ثـم وَلَـدُه أبـو عبـد الله الأكبـر الـذي كـان مشـتغلا بـالقراءة، وغلبـت عليـه علـوم القـرآن وكتابـة المصـاحف علـى طريقـة أهـل الأنـدلس، وقـد أدرك ابـن مـرزوق"الجـد" بعضـها وهـي فـي غايـة الحسـن خطًّـا وضبطًا[1].

وقـد اسـتمر هـذا الميـراث فـي فـروع الحفيـد ابـن مـرزوق فقـد رزقـه الله ابنـا حـاز شـرف العلـم والإصـلاح ومحمـد الـذي يُعـرف بـالكفيف (ت901هـ) الـذي كان من أبرز علماء عصره.

ومـن أولاد الكفيـف **أحمـد بـن مـرزوق** الثالـث الـذي عُـرفَ بحفيـد الحفيـد (ت925هـ)[2].

1- د.حفيظة بالميهوب، العلماء المرازقة، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، ص161.
2- ابن مريم، البستان، ص258.

كمـــا أن أحمـــد المقـــري صـــاحب "نفـــح الطيـــب" هـــو أحـــد فـــروع الكفيـف، قـال المقـري: «الكفيـف والـد أم جـدي أحمـد، لأنـي أحمـد بـن محمـد بـن أحمد، فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور»[1].

كمـا كـان الحفيـد مـن ابنتـه حفصـة، التـي أخـذت علمـه وحضـرت مجالسـه **محمـد الثـامن** الـذي ورث علـم أجـداده، وأشـتهر بـالعلم، ويعـرف بـابن مـرزوق الخطيب.

كمـا كـان الحفيـد مـن ابنتـه حفصـة، التـي أخـذت علمـه وحضـرت مجالسـه **محمـد الثـامن** الـذي ورث علـم أجـداده، واشـتهر بـالعلم، ويعـرف بـابن مـرزوق الخطيـب. وقـد عرفـت هـذه الأسـرة بمواقفهـا النبيلـة فـي الإسـراع إلـى مسـاعدة أصـحاب الحاجـات والوقـوف إلـى جـانبهم بالإضـافة إلـى مـا تحلـت بـه مـن زهـد وورع[2].

1- المقري، نفح الطيب، ج5، ص914.
2- د.حفيظة بالميهوب، عائلة المرازقة، ص162.

2) التعريف ببعض المرازقة:

أ- ابن مرزوق الجد:

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، ولد بتلمسان سنة (710هـ/1310م)، حفظ القرآن الكريم، ثم رحل مع والده إلى الحجاز سنة (718ه وقد شرق وغرب، وأخذ عن حوالي ثلاث مئة شيخ، تولى الخطابة بمسجد أبي مدين بالعباد، وبالجامع الأعظم وبجامع الحمراء بغرناطة وبجامع الموحدين بتونس وقضاء المالكية بالقاهرة، كما درّس في الشيخونية والصرغتمشية والقمحية بمصر[1].

ومن الذين تتلمذوا على يده "**ابن قنفد القسنطيني**" توفي سنة (781هـ/1379م)[2].

من آثاره:

شرح عمدة الأحكام، وشرح ابن الحاجب الفرعي، وشرح الأحكام الصغرى لعبدالحق الإشبيلي، وله مجموع جمع فيه أخبار عائلته كما لخص تاريخ الدولة المرينية ثمّ أرّخ لأبي الحسن تاريخًا مفصلا باسم "**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**" انتهى منه سنة

1- ابن مريم، البستان، ص184.
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص131.

772هـ/1371م[1]، وكتاب تحفة الطرف إلى الملك الأشرف، والأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء وكتاب الإمامة، وديوان خطب وقصائد وإيضاح المراشد، فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وشرح لصحيح البخاري وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر، وجن الجنتين في فضل الليلتين: ليلة القدر وليلة المولد، توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة خاصة في مدينة فاس والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل وهو في أجزاء يوجد بالزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى[2].

ب- ابن مرزوق الحفيد:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الحفيد، العجيسى التلمساني ابو بكر عبد الله، اشتهر بالحفيد تمييزا له عن غيره من علماء المرازقة، ويقصد "بالحفيد" حفيد ابن مرزوق الجد، المشهور بالخطيب ولد بتلمسان في عام 766هـ/1364م[3].

نشأ على غرار نشأة آبائه مستمسكًا بالعلم والدين فأخذ عن والده وعمه ابني الخطيب بن مرزوق، وعن سعيد العقباني، وأبي إسحاق المصمودي، وأبي الحسن الأشهب الغماري، وعن أبي محمد عبد الله بن الشريف التلمساني فلقي بها الإمام بن عرفة، وأبا العباس القصار ثم دخل فاسًا فأخذ بها عن الشيخ

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ص108.
2- المرجع السابق، ص134.
3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر العام، ص212.

أبـي زيـد المكـودي وابـن حيـاتي والحـافظ محمـد بـن مسـعود الصـنهاجي الفلالـي، ثـم اتصـل بعـد ذلـك بالمشـرق فـدخل مصـر، آخـذًا عمـن لقـي بهـا مـن جلـة العلمـاء كـابن خلـدون والفيـروز آبـادي والنـويري. ومحـب الـدين بـن هشـام والحـافظ العراقي وآخرين، ثم عاد إلى المغرب.

وأثنـاء حجـه التقـى بمجموعـة مـن العلمـاء وكـان مـنهم جماعـة مـن علمـاء الأندلس[1].

مـن تـلامـيـــذه:

ابنــه ابـن مـرزوق الـذي يعـرف بـالكفيف، وأبـو زيـد عبـد الرحمـان الثعـالبي، والمجاري، والقلصادي[2].

مـن مـآثـــره:

ما وصفه به ابن مريم في البستان «...وأما النحو فلو رآه الزمخشري لتلجلج في قراءته المفصل، واستقل ما عنده من القدر المحصل، أو الرماني لاشتاق إلى مفاكهته وارتاح، واستجنى من ثمار فوائده وامتاح، أوالزجاج لعلم أن زجاجه لا يقوم بجواهره، وأنه لا يجري معه في هذا العلم إلا في ظواهره، ولو رآه الخليل لأثنى عليه بكل جميل، وقال لفرسان النحو ما لكم إلى لحوق عربيته من سبيل...»[3].

1- المرجع نفسه، ص213.
2- ابن مريم، البستان، ص206.
3- المصدر نفسه، ص203.

وأما تآليفه فقد ذكر له أهل التراجم والبشير منها عدداً جماً، منها ما طبع وأغلبها ما يزال مخطوطا نذكر منها: عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد، الآيات الواضحات في بيان وجه دلالة المعجزات، نور اليقين في شرح حديث "أولياء الله المتقين"، أنوار الدراري في مكررات البخاري، الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف، المتجر الربيح في شرح الجامع الصحيح، الروضة وهي عبارة رجز في علوم الحديث المنتزع النبيل في شرح مختصرات الخليل.

توفي 842هـ/1439م، ودفن بجامع تلمسان الأعظم[1].

ج- ابن مرزوق الكفيف ابن الحفيد:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق، يعرف بين علماء أسرة المرازقة بلقب الكفيف، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم أبوه شيخ الإسلام، قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغيرهما وتفقه عليه، وأجازه ما تجوز له عنه روايته ومنهم الإمام العالم النظار الحجة أبو الفضل بن إبراهيم بن أبي زيد بن الإمام والعالم أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، وأبي العباس أحمد بن محمد بن عيسى اللجائي الفاسي، وأبي زيد عبد الرحماني الثعالبي، وأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي وغيرهم[2].

1- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر العام، ص ص215،216.
2- ابن مريم، البستان، ص249.
2-المصدر نفسه، ص 250.

من تلاميذه:

أبو جعفر البلوي الوادي آشي، و حفيد الحفيد، محمد ابن مرزوق -ابن أخته- والشيخ أبو عبد الله محمد ابن الإمام أبي العباس، وابن غازي الونشريسي وغيرهم .

توفي سنة 910هـ.

د- ابن مرزوق الخطيب "حفيد الحفيد":

هو محمد ابن احمد بن محمد ابن المرزوق، اشتهر بالخطيب، سبط الإمام، الحفيد ابن مرزوق ابن ابنته حفصة، وقد وصفه أبو عبد الله بن الإمام ابن العباس انه آخر العلماء الآخذ من كل فن بأوفر نصي الحائز قصب السبق في ذلك، وخصوصا علم الحديث أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم خاله ابن مرزوق الكفيف، والشيخ العلامة ابن العبّاس وغيرهما [2].

لم يقف العلماء على سنة وفاته غير أنه كان حيا سنة 918هـ ويشهد لذلك ما قاله ابن مريم: «دخل فاس وأجاز عبد الوهاب الزقاق، ولم أقف على وفاته»[1].

هذه بعض الشخصيات البارزة في عائلة المرازقة التي ظلت تغذي تلمسان والأمة الإسلامية بعلماء فطاحل، خدموا العلوم الشرعية وغيرهما من العلوم.

1- المصدر السابق، ص259.

لقد كان العلماء المرازقة من أهم ركائز المدرسة التلمسانية النشطة، وقد شهد بذلك القلصادي الأندلسي، والثعالبي وغيرهم، وآثارهم على ذلك شاهدة، فبفضلهم وفضل العلماء الآخرين أصبحت تلمسان من أعظم العواصم العلمية[1].

1- حفيظة بالميهوب، عائلة المرازقة، ص165.

المبحث الثـانـــي: الشيخ الهبري المجاوي.

1- مـســـــاره:

أ- نشـأتـــه:

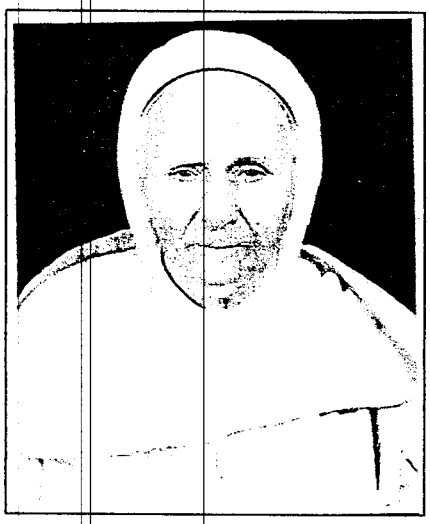

ولـد الشـيخ العلامـة الفقيـه الهبـري المجـاوي رحمـه الله بمنطقـة تسـمى الحويسـي، ببنـي وارسـوس حـوز الرمشـي بولايـة تلمسـان، يـوم الأربعـاء 06 ذو الحجـة 1323 مـن السـنة الهجريـة، حسـب وثيقـة تركها والده، الموافق لـ 1906/01/31 للميلاد.

كان والده الوليّ الصالح العلامة سيدي محمد بن عمر المجاوي ابن محمد بلحاج رحمه الله وطيّب ثراه، صاحب زاوية لتعليم القرآن، كوّنت الكثير من الطلبة حفظة القرآن الكريم، وساهمت بإمكانياتها المتواضعة في الصمود أمام العدوّ الفرنسي الغاشم في الحفاظ على ثقافتنا العربية الإسلامية، التي حاول الاستعمار طمسها بكل جهوده[1].

للشيخ السّي الهبري أخوان وهو الأوسط، أخوه الأكبر السّي بلحاج فتح بمساعدة أبيه مدرسة قرآنية بقرية ليست بعيدة عن الحويسي، وتخرّج على يده الكثير من الطلبة، توفي رحمه الله قبل الاستقلال بسنتين، أما أخوه الأصغر فيدعى السّي محمد، ويلقب

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، جمع وعناية: الأستاذ محمد توفيق المجاوي، تح، الأستاذ المختار بن عامر، ص18.

بالسّي القندوز، كان هو الآخر معلمًا بارعًا للقرآن الكريم، وهو كذلك كوّن العديد من الطلبة، توفي سنة 1991م[1].

ختم الشيخ السي الهبري المجاوي القرآن الكريم على يد والده وأخيه الأكبر السي بلحاج في التاسعة من عمره حيث أكرمه الله تعالى بذاكرة قوية، وبعد ختمه للقرآن إلتحق بالطلبة المسافرين وهو لا يزال صبيّا لمدة سنتين بالتقريب، وبعد أن تمكن معهم من حفظ القرآن الكريم بصفة جيّدة التحق بحضرة الشيخ مصطفى بن رابح ليتلقى على يده مبادئ علوم الدين لمدة أربع سنوات، وبعدها التحق بمعهد الحاج الجيلالي بالعطّاف من عمالة "**الأصنام**" آنذاك، ومكث فيها أربع سنوات كاملة، وبعد ما أتم دراسته على يد هذا الشيخ الجليل رحمه الله تعالى انتقل إلى جامعة القرويين بفاس في المغرب الأقصى وانخرط في سلك طلبتها من سنة 1929 إلى سنة 1931م، ودرس هناك العلوم الدينية من لغة ونحو وفقه وحديث...على يد علماء أجلاء[2].

ولمّا أتم دراسته في القرويين سنة 1931م رجع إلى مسقط رأسه ولقب بالفقيه السّي الهبري اعترافًا بعلمه وتمكّنه من علوم الدّين، انتقل مباشرة بعد زواجه إلى قرية عين الحوت حوز تلمسان وانتصب للتعليم والإفادة، ولمّا عُيِّن الأستاذ العلامة الجليل الشيخ البشير الإبراهيمي بمدينة تلمسان اتصل به وأخذ يتردّد على دروسه[3]،

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص19.
2- المصدر نفسه، ص21.
3- المصدر نفسه، ص22.

فسمع منه دروساً قيّمة في التفسير والحديث وغيرهما، وصار من المقرّبين إليه، بالإضافة إلى قيامه بواجب التعليم بعين الحوت. توفي يوم 11 فبراير 1988م[1].

ب- حياته النضالية قبل وبعد الثورة:

تحدّث عن ذلك في إحدى مذكراته التي تركها رحمه الله، قال رحمه الله: وقد خالطت السياسة حوالي سنة 1934 حينما كنت مقيما بعين الحوت من ضواحي تلمسان كواعظ ومرشد حرّ، وذلك بواسطة مخالطة بعض الشبان المثقفين باللسانين العربي والفرنسي، وبمطالعة بعض الكتب العصرية كـ"حياة الشرق"، ثم جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتكوّنَتْ في نفسي من جرّاء المظالم التي كانت تمثل في الشعب على مسرح الحياة الجزائرية آنذاك عقيدة وطنية، فكنت أدافع عنها وأنشر الدعاية من أجلها عن إيمان صادق بأن ذلك حق عليّ وواجب مقدّس، حتى مثلت للمرة الأولى أمام "الكوميسار" المركزي بتلمسان سنة 1936، واستنطقني نحو الساعة والنصف، وطلب مني رخصة التعليم، ودافعت بأنني أعلم مبادئ الدين للكبار، ولا لزوم للإذن مادام تعليمي إياهم دينيا محضا[2].

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص22.
2- المصدر نفسه، ص23.

ومـن ذلـك العهـد وأنـا فـي أخـذ ورد، ونضـال مـع الحكومـة الاسـتعمارية، وأخيـرًا منعـوني مـن التعلـيم الحـرّ إلا برخصـة فأتيـت أن أطلـب الرّخصـة، واضـطررت أن أفـتح حانوتـا للتعـيش الحـرّ الكـريم، ففتحـت حانوتًـا بالرمشـي فـي أكتـوبر سـنة 1937، ولكـن كيـف العمـل والعقيـدة رسـخت واسـتحكمت، فطفقـت أبـثّ الـدعايات باسـم الـدّين الحـق الـذي لا ينفـك والوطنيـة الحقـة، فتحزّبـت الطريقـة الرجعيـة ضـدّي، واسـتعانت واسـتعان بهـا الاسـتعمار، فـذقت الأمـرّين مـن جـرّائهم، وفـتش منزلـي وحـانوتي مـرارا بواسـطة البـوليس السـري، وحينئـذ انخرطـت فـي جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجـزائيين قصـد الاسـتعانة بهـم والاحتمـاء، فـزادهم فـي ذلـك تألبـا وزاد فـيَّ تشـجيعًا، ففتحـت مدرسـة بالرمشـي للتعلـيم العربـي الإسـلامي، ولقيـت نجاحًـا بـاهرًا، وكـان حـانوتي مَرْكَـزًا للاتصالات الدينية والسياسية، فعَلِمَت السُّلطة الاستعمارية فأغلقته مدّة سنة[1].

وفـي سـنة 1954 اعتقلتنـي السـلطة الاسـتعمارية بصـفتي خطيـرًا علـى سـلامة الدولـة، وحشـرتني مـع الإخـوان المكـافحين فـي معتقـل بوسـوي ثـم معتقـل آفلـو ثـم معتقـل آركـول ثـم بوسـوي ثانيـة، ومنـه أطلـق سـراحي فـي فـاتح ينـاير 1957، وبعـد أن أطلـق سـراحي مكثـت تحـت المراقبـة الدقيقـة، فكانـت أيـامي[2] فـي السـجن أطيـب مـن الأيّـام التـي قضـيتها طليقًـا بـين أهلـي وعشـيرتي، لأن ضـميري كـان يحـتم علـيّ العمـل مـن أجـل الثـورة فـي دائـرة اختصاصـي، وهـي

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص23.
2- المصدر نفسه، ص24.

الدعايـة والاسـتعلامات، ورفـع معنويـات الشـعب، والفصـل فـي القضـايا بـين المتخاصمين، وتحسس الأخبار عن أعمال العدو[1].

هـذه حيـاتي فـي الفتـرتين، فـي الثـورة وفيمـا قبـل الثـورة، أمـا حيـاتي فـي فتـرة الاسـتقلال، فـإني متشـرف والحمـد لله بثقـة حزبـي العتيـد، حـزب جبهـة التحريـر الـوطني، وفـي الأخيـر خـتم الشـيخ الهبـري كلامـه بأنـه لا شـكر علـى واجـب محـتم، ولكن بيان للحقيقة حينما يحتاج إليها[2].

ج- وظيفته بالمسجد:

طلب إعفاءه من العمل الحزبي آخر سنة 1962، واختـار أن يكرس حياتـه لخدمـة الـدين، فعُـيِّن إمامًـا خطيبًـا فـي مسـجد سـيدي إبـراهيم المصـمودي بتلمسـان، مـن 1963/01/01 إلى 1967/12/26، وفي تلك العهدة كُلف بتدريس الفقه والعبادات . نُقِل بعدها إلى الجامع الكبير، واشتغل فيه إمامًا خطيبا ومدرسا، إلى أن عيُّن مفتشا بوزارة الشؤون الدينية في تاريخ 1970/03/15، ثم نقل إلى ولاية سعيدة في المنصب نفسه إلى غاية 1974/09/25، حيث ارجع إلى تلمسان كمفتش، واستقال من منصبه هذا في السنة نفسها[3].

وكُلف بالتدريس وخطبة الجمعة في الجامع الكبير بتلمسان.

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص25.
2- المصدر نفسه، ص26.
3- المصدر نفسه، ص27.

2- نموذج من الدروس التي ألقاها بالجامع الكبير:

ألقى الشيخ الهبري 122 درس في التفسير، ومن بين هذه الدروس اخترنا الدرس الأول الذي هو في الأصل الدرس 99 كما ورد في مذكرات الشيخ، وقد قدم لأنه مناسب كتوطئة لهذه الدروس، رغم أن الشيخ ألقاها فيما بعد سنة 1986.

أ- الـدرس :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، أيها الإخوة المؤمنون طُلب منا تخصيص الدروس الجمعية والخطب المنبرية لتفسير كتاب الله العزيز، وتقريب معانيه إلى جماهير الأمة، بلغة سهلة يفهمونها، ليعلموا ما في هذا الكتاب الكريم، الذي هو فخرهم وشرفهم وذكرهم ومرجعهم في الشبهات والاختلاف، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾[2]. يريد سبحانه أنّ القرآن الكريم شرف لك أيها الرسول و لقومك، وفخر ذكر لك ولهم، حيث نزل بلغتهم وفي أرضهم وبلادهم.

1- سورة الأنبياء، الآية 10.
2- سورة الزخرف، الآية 44.

أمرنـا السـيد الـوزير، وهـو مصـيب فـي هـذا، لنقـرّب للجمـاهير الشـعبية[1] معـاني الكتـاب العزيـز حسـب المسـتطاع، قـال تعـالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ مَآ آتَاهَا**﴾[2].

وليسـمع لنـا إخواننـا المثقفـون إذا كنـا دون مسـتوياتهم، أو نزلنـا فـي الكـلام إلـى مسـتوى جمـاهير الأمـة، تعميمـا للفائـدة ونشـرا لمحاسـن ديننـا الحنيـف، بالوسـائل التـي يفهمونهـا، ليتبـع مـن يتبـع ويسـمع مـن يسـمع، وهـو علـى بينـة مـن ربـه وبصـيرة مـن أمـره، ويهلـك مـن يهلـك، ويشـقى مـن يشـقى وهـو عـالم بضـلاله، ومخـالف أوامـر ربـه، وينقطـع عنـد الله عـذره، وكـل ميسـر لمـا خلـق لـه، والله ولـي التوفيق.

وبعـد، فلنشـرع فيمـا قصـدنا مسـتعينين بـالله سـبحانه، سـائلين منـه تعـالى العصمة من الزلل، والتوفيق للصواب في القول والعمل[3].

أيهـا الإخـوة المؤمنـون، إنـا نسـمع كـل مـن يريـد الـتلاوة والقـراءة للقـرآن الكـريم، يبـدأ بهـذه الكلمـة "**أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الـرجيم**" وبعـدها قـد يزيـد "**بسـم الله الـرحمن الـرحيم**"، ومعنـى "**أعـوذ بـالله**": أتحصّـن بـالله، وأعتصـم ألتجـئ إليـه سـبحانه مـن العـدوّ المبـين، الشـيطان الـرجيم، والشـيطان هـو ذلكـم

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص33.
2- سورة الطلاق، الآية 07.
3- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص34.

المخلـوق الشـرير الـذي أخبـر النـيّ صـلى الله عليـه وسـلم، أنـه يجـري مـن ابـن آدم مجرى الدّم[1].

ومعنـى الـرجيم: الملعـون المطـرود الـذي ترجمـه الملائكـة بشـهب النـار مـن السـماء، كلمـا حـاول أن يسـرق السـمع ممـا يـدور بـين الملائكـة الكـرام فـي تصاريف الأقدار وآجال الأعمار.

قـال تعـالى حاكيـا عـن جماعـة مـن الجـن أنصَـتوا للقـرآن: ﴿**وَأَنَّـا كُنَّـا نَقْعُـدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً**﴾[2].

وقـال تعـالى: ﴿**وَلَقَـدْ زَيَّنَّـا السَّـمَآءَ الـدُّنْيَا بِمَصَـابِيحَ وَجَعَلْنَاهَـا رُجُومـاً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾[3].

فمعنـى "**أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الـرجيم**": ألتجـئ إلـى الله وأعتصـم بـه مـن شـرور هـذا المخلـوق الشـرير، ومـن يسـتعذ بـالله مخلصـا يُعِـذه، ومـن يعتصـم بـالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

هـذا هـو معنـى "**أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الـرجيم**"، فمـا هـو المقصـود مـن البدء بها وتقديمها أول كل تلاوة، بل أول كل عبادة.

1- المصدر نفسه، ص05.
2- سورة الجن، الآية 09.
3- سورة الملك، الآية 05.

المقصـود منهـا دفـع كـل شـرور هـذا الشـيطان، لأن هـذا الشـيطان الـذي هـو عـدو الإنسـان، يسـعى بكـل جهـده ويحـاول بكـل طاقتـه أن يغـوي هـذا الإنسـان ويصـرفه عـن الإيمـان، واسـمعوا قـول الله تعـالى فيمـا يحاولـه هـذا اللعـين نحـو الإنسان: ﴿**قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[1].

ويعني بالصراط المستقيم الدين الحق الذي لا اعوجاج فيه[2].

قلنـا يحـاول أن يصـرفه عـن الإيمـان، فـإن لـم يسـتطع ذلـك، سـعى جهـده وبكـل قـواه أن يفسـد طاعتـه وعبادتـه، حتـى تصـير جسـما بـدون روح ولا نفـع فيهـا ولا غنـاء، فـإن لـم يسـتطع ذلـك حـاول آخـر محاولـة، ليسـرق منـه طاعتـه وعبادتـه، فينقصها من الأجر والثواب.

إذْ لهـذه المحـاولات الشـيطانية أمـر الله نَبيّـهُ محمـد **(صـلى الله عليـه وسـلم)** وأمتـه أن يتحصـنوا بـالله مـن شـرور هـذا الشـيطان لينجـوا مـن مكـره وكيـده، فقـال تعـالى: ﴿**فَـإِذَا قَـرَأْتَ الْقُـرْآنَ فَاسْـتَعِذْ بِاللّـهِ مِـنَ الشّـيْطَانِ الـرّجِيمِ**﴾[3]، وقـال تعالى: ﴿**وَإِمّا يَنَزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4].

1- سورة الأعراف، الآية 16.
2- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص34.
3- سورة النحل، الآية 98.
4- سورة الأعراف، الآية 200.

أمـا **"بسـم الله الـرحمن الـرحيم"**، ونسـميها البسـملة، وهـي مجمـوع ثلاثـة أسـماء: الله والـرحمن والـرحيم، وكـأن البدايـة بهـا تسـتهدف رحمـة الله التـي وسـعت كـل شـيء فـي العبـادات المبـدوءة بهـا، وفـي ذكـر اسـم الله معنـى التعـوذ والتحصـن بـالله[1]، عـن أبـي الملـيح عـن رجـل قـال: كنـت رُديـفَ النبـي **(صـلى الله عليـه وسـلم)** فعثـرت دابـة فقلـت: "تعـس الشـيطان"، فقـال **صـلى الله عليـه وسـلم: «لا تقـل تَعِسَ الشـيطان، فإنـك إذا قلـت تعـس الشـيطان، تعـاظم حتـى يكـون مثـل البيـت ويقـول بقـوتي ولكـن قـلْ بسـم الله فإنـك إذا قلـت ذلـك تصـاغر حتـى يكـون مثـل الذبـاب»**[2].

ثـم إن البسـملة أي **"بسـم الله الـرحمن الـرحيم"**، عنـد الإمـامين مالـك وأبـي حنيفـة ليسـت آيـة مـن سـورة الفاتحـة ولا مـن غيرهـا مـن السـور، وإنمـا هـي فاصـلة مباركة تفصل بين السورتين تدل على نهاية الأولى وبداية الثانية.

وفـي سـنن أبـي داوود بإسـناد صـحيح عـن أبـي عبـاس رضـي الله عنـه قـال: كـان النبـي **(صـلى الله عليـه وسـلم)** لا يعـرف فصـل السـورة حتـى تنـزل عليـه بسـم الله الرحمن الرحيم[3].

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص35.
2- أبي داوود الساجستاني سليمان بن الأشعث، تخريج وتعليق الإمام الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، 1417هـ ط61، ص126.
3- المصدر السابق، ص128.

وهـذا اللفـظ يـدل علـى أنـه منزّلـة، يتكـرر نزولهـا عنـد آخـر سـورة وأول سورة أخرى، أي بينهما، ودليل الإمام مالك رضي الله عنه أحاديث:

الحديث الأول:

عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أن الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** نـادى أبـي بـن كعـب وهـو يصـلي فلمـا فـرغ مـن صـلاته لحقـه فوضـع رسـول الله **(صلى الله عليـه وسلم)** يَدَهُ على يَدِهِ وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال: إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها، قال أبي: فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك، ثم قلت: يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: وقرأت الحمد لله ربّ العالمين حتى أتيت على آخرها، فقال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)**: هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُعْطِيتُ[1].

الحديث الثاني:

عن أنس بن مالك قال: «صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بـ(الحمد لله رب العالمين) لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها»[2].

1- مالك بن أنس، الموطأ، رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي، تح، د.بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ج1، ط2، 1417 هـ - 1997م

2- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب، ص526.

ب- مميزات تفسير الشيخ:

يمتاز تفسير الشيخ بعدّة مميزات، منها ما يلي:

1-الشمولية في الطرح، فنجده يذكر الفوائد والإرشادات إلى جانب الأحكام الشرعية، كما يذكر النكت الأدبية والمصطلحات اللغوية العالية.

2-التبسيط ومخاطبة الناس بما يعرفون، وقد استشهد في بداية هذه الدروس.

3-حسن الإسقاط على الواقع المعيش، فعندما تتكلم عن تعدّي بني إسرائيل لحدود الله في قصة السبت.

4-حسن توظيف الأمثلة والتشبيهات، استنباطا من القرآن الكريم.

5-حسن الترتيب بين معاني الآيات الكريمة، تماشيا مع وحدة موضوعها.

6- محاولة الوصول بالمعنى المستنبط من الآيات الكريمة إلى الأثر الاجتماعي الذي يحققه في الإنسان فردًا وجماعة، ففي تفسيره سورة الفاتحة في قوله تعالى: «**إياك نعبد وإياك نستعين**» يقول: لعل السر في التعبير[1] بنون الجماعة في الفعلين «نعبد ونستعين» حيث لم يقل «أعبد وأستعين» إشارة إلى أن هذا الدين مبني على الجماعة وتعاونها، فبالعَوْن من الله والتعاون من جماعة المسلمين فيما يملكون وسائله يشتدّ أمر الدين وتتقوى به جماعة المسلمين[2].

1- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص ص 12، 13.
2- الشيخ الهبري المجاوي، واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، ج1، ص14.

7- المَيْلُ بعض الشيء للمذهب المالكي، فيذكر مثلا أدلة المالكية في ترك البسملة في أول الفاتحة[1].

هؤلاء العلماء من الأسماء اللامعة التي تركت أعمال جليلة ساهمت في نشر العلم و المعرفة و الثقافة الإسلامية، في مدارس تلمسان العديدة، و مساجدها الكثيرة و زواياها.

1- المرجع نفسه، ص15.

الخاتمة

الخاتمة:

إن مدينة تلمسان بتاريخها الطويل وعمرانها ومنشآتها المعمارية الإسلامية –المساجد– التي هي النواة الأساسية للمجتمع الإسلامي، تجسد في واقع الأمر تاريخ المجتمع الجزائري، وتعبر بطرازها عن هويته وثقافته وحضارته، وربما تميزت مدينة تلمسان باعتبارها تضم ثروة أثرية للتراث الإسلامي بجميع أنواعها عمارة وعمرانا وفنًّا وصناعة وحرفًا، ولولا ما أصابها من صنوف التدمير على يد المستعمر البغيض لكانت اليوم متحفًا ضخما في الهواء الطلق، ومع ذلك فإنما بقي منها يعبر عن قوة إبداع المدينة، ويجسد قدرة أهلها في المساهمة في البناء الحضاري لمجتمعنا في الحضارة العربية الإسلامية، والحضرة الإنسانية بصفة عامة.

وقبل أن نضع نقطة النهاية لبحثنا المتواضع هذا، نودّ أن نبرز ما توصلنا إليه من نتائج:

- الجامع الكبير لا يزال محتفظًا بخصائصه المعمارية والإنشائية والفنية الجمالية.
- البراعة العمرانية للجامع الكبير تدل على أن هناك حضارة مرّت به.

- ظهور بصمة أندلسية في الجامع الكبير من خلال بعض المرافق: مثل عيون الماء، النقش على الخشب والاهتمام بالزخرفة.
- أن دور الجامع لم يقتصر على إقامة الشعائر الدينية.
- يعد الجامع مركزا للتعليم والتوجيه والتفقه في الدين، ونشر العلم بين الطلبة والعامة وكانت آثاره كبيرة على العلم، عميقة في المجتمع، إذ تخرّج من علماء كبار، ساهموا في توطيد عرى العلم واستمراريته، وتثقيف المجتمع وترقيته.
- جمع الصدقات والأموال العامة، وتوزيعها على المستحقين.
- كان المسجد مكانا لعلاج المرضى في أيام الاستعمار.
- إقامة العقود الشرعية للزواج.
- الإصلاح بين المتخاصمين.
- الكشف عن مكانة عائلة المرازقة، ومدفنها بالجامع.
- الكشف عن القيمة العلمية والأدبية للشيخ الهبري المجاوي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادر:

*** القرآن الكريم برواية حفص.**

1- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان.

2- ابن قاضي المكناسي: درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

3- ابن ماجة محمد بن يزيد القزوين: السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الجزء الأول.

4- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

5- ابن منظور محمد بن مكرم : لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ/2003م.

6- أبو داود الساجستاني سليمان بن الأشعث: السنن، تخريج وتعليم الإمام الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، 1417هـ.

7- مسلم بن الحجاج القشيري النيساوري: صحيح مسلم، تدقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

8-الشيخ الهبري المجاوي: واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، جمع وعناية الأستاذ محمد توفيق المجاوي، تحقيق الأستاذ المختار بن عامر.

9-شهاب الدين أبو العباس المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الخامس، دار صادر.

10-يحي بن خلدون أبي زكرياء : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق د.عبد الحميد حاجيات، الجزء الأول، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

II. المـراجـع:

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998م، الطبعة الأولى، الجزء الثالث.

2- أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1987م.

3- أحمد رجب ومحمد علي: المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية، القاهرة، 2000م.

4- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي،الجزء الأول، مكتبة النهضة، القاهرة، 1996م.

5- الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، الجزء الثاني، موفم للنشر.

6- أنور الرفاعي: تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكر، 1977م.

7- رئيق مهنا ويسين بحر: نظريات العمارة، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

8- زكي محمد حسن: في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.

9- سعاد فريال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة.

10- سعاد ماهر: مساجد السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987م.

11- شوقي صنيف : تاريخ الأدب العربي، دار المعارف.

12- صالح بن قربة : المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

13- عبد الجليل قريان : التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

14- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

15- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

16- عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، الجزء الثاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981م.

17- عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985م.

18- فيلالي عبد العزيز : تلمسان في العهد الزياني، الجزء الأول، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

19- مبارك بوطارن: العمائر الدينية في المغرب الأوسط، دار النشر، الإسكندرية، 1991م.

20- محمد الطيب عقاب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.

21- محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

22- محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

23- محمد مرتاض: من أعلام تلمسان، دار الغرب للنشر والتوزيع.

24- محمود بيومي: القيمة المعمارية والفن التشكيلي، دار الرتب الجامعية، 2002م.

25- يحي وزيري: موسوعة عناصر الزخرفة الإسلامية، مكتبة مدبولي، 1999م.

III. الكتب المترجمة:

-رشيد بورويبة: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة، د.ابراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنسر والتوزيع، الجزائر، 1979.

IV. الدوريات:

1- مجلة الأصالة: السنة الرابعة، العدد26، رجب-شعبان 1395هـ/جويلية-أوت1975م.

2- مجلة الوعي: دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد المزدوج (3-4)، (جمادى الأولى والثانية 1432هـ/أفريل-ماي 2011م).

3- مجلة سرتا: العدد 04، ديسمبر 1980.

4- وزارة الأنباء والثقافة، تلمسان (سلسلة الفنون والثقافة)، مطبعة ألتا ميرا، مدريد، إسبانيا، 1975.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
مـقـدمـــة	أ - ب
الـمـــدخـــل: مـاهية المسجد	01
الفصل الأول: لمحة عن الجامع الكبير	
- **المبحث الأول: نشأة الجامع الكبير ومراحل تطوره**	05
1- نـشـأتـــه	05
2- مراحل تطور الجامع	07
- **المبحث الثاني: العناصر المعمارية للجامع الكبير**	11
1- موقعه	11
2- عناصره المعمارية	12
الفصل الثاني: أهمية الجامع الكبير الحضارية	
- **المبحث الأول: قيمته العلمية في الفترة الزيانية**	26
1- الوظيفة التعليمية	26
2- نظام التعليم بالجامع الكبير	28
- **المبحث الثاني: قيمته العلمية في الفترة الحديثة والمعاصرة**	31
1- خلال فترة الاستعمار	31
2- فترة ما بعد الاستقلال	34
3- خلال الفترة الحالية	35
- **المبحث الثالث: بعض علماء وفقهاء الجامع الكبير**	38
الفصل الثالث: نماذج من أعلام الجامع	
- **المبحث الأول: عائلة المرازقة**	45
1- نبذة عن عائلة المرازقة	45
2- التعريف ببعض المرازقة	48
- **المبحث الثاني: الشيخ الهبري المجاوي**	54
1- مـســـاره	54
2- نموذج من الدروس التي ألقاها بالجامع الكبير	59
الـخـاتـمـــة	67
قائمة المصادر والمراجع	69
الـفـهـــرس	72